الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية الأداب واللغات

ميدان اللغة والأدب العربي

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة ماستر

آليات بناء الخطابة في العصر الأموي

"دراسة تحليلية في خطب معاوية بن أبي سفيان "

- الشعبة : أدب عربي قديم
- التخصص : اللغة والأدب العربي
- إعداد الطالب : عويسي بشير
- إشراف الأستاذ الدكتور : بن السايح لخضر

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة في اللجنة	التوقيع
جعيرن ميهوب	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	
بن السايح لخضر	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً ومقرراً	
لخضاري علي	أستاذ محاضر	مناقشاً	

السنة الجامعية: 2024/ 2025

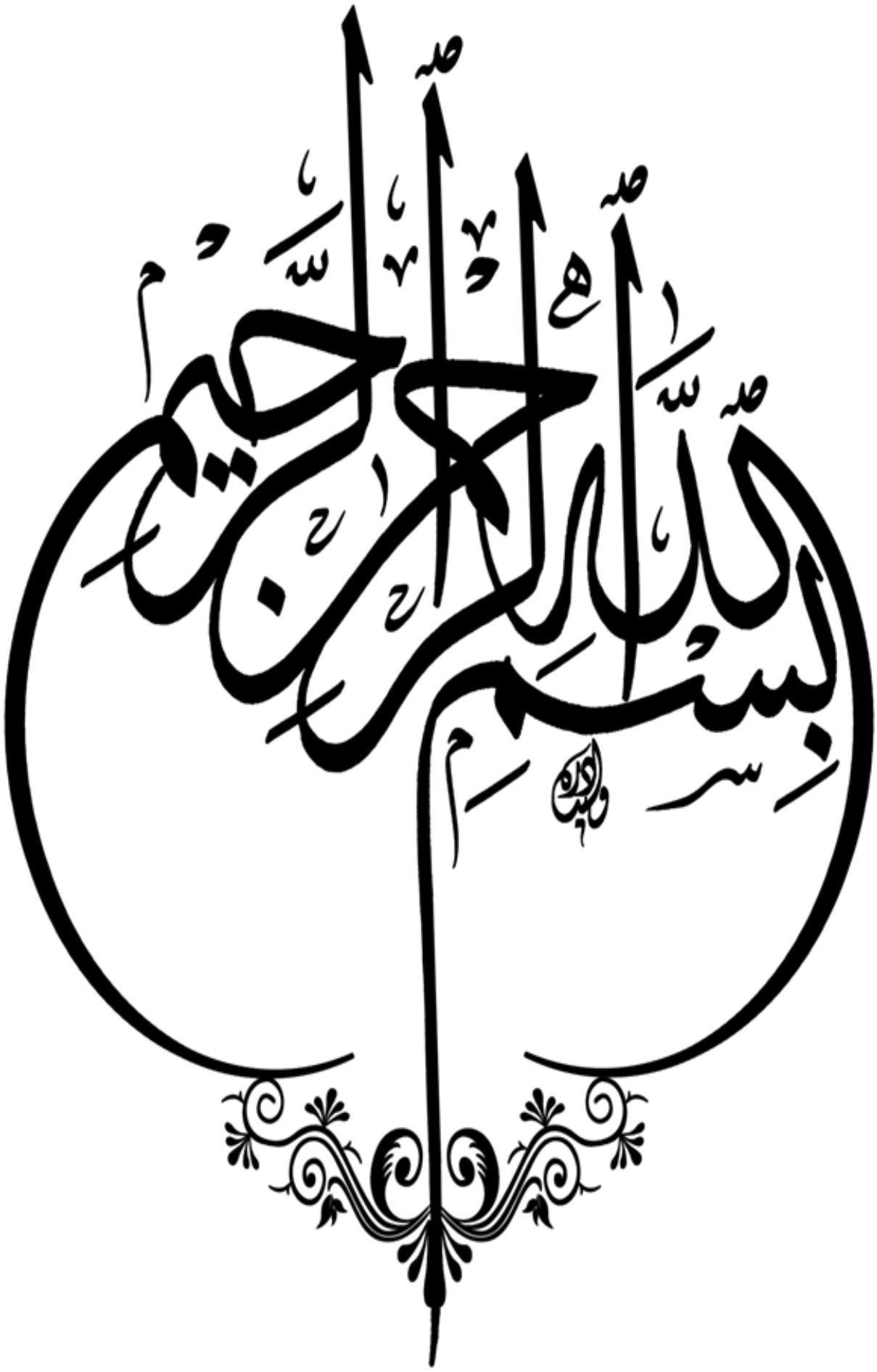
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

الشكر لله أولا على توفيقه في إنجاز هذا العمل المتواضع

ثم الشكر موصول إلى أستاذي المشرف الدكتور بن السايح لخضر على مساعدته القيمة فله مني جزيل الشكر وكبير الاحترام والتبجيل.

وأتقدم بالشكر كذلك إلى السادة الدكاترة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل وتصويبه، وعلى تكبدهم المشقة في قراءته وتصحيحه رغم ارتباطاتهم وانشغالاتهم.

كما أتقدم إلى كل أساتذة وعمال كلية الأدب واللغات بجامعة عمار ثليجي بالشكر الجزيل، فلهم علينا فضل كبير.

كما أشكر كل من له فضل في إنجاز هذا العمل المتواضع

إهـداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من كلل العرق جبينه ومن علمني أن النجاح لا يأتي إلا بالصبر و الإصرار

إلى النور الذي أنار دربي والسراج الذي لا ينطفئ نوره بقلبي

إلى من بذل الغالي والنفيس إلى من استمديت منه قوتي واعتزازي بذاتي

والدي العزيز رحمة الله عليه إلى والدتيّ التي ربتني والتي ولدتني حفظهما الله ورعاهما، إلى من شددت عضدي بهم فكانوا أنابيع وصفوتها

إلى من كانت الداعم الأول لتحقيق طموحي زهرة حياتي، ملجئي ويدي اليمنى في هذه المرحلة إلى القلب الحنون زوجتي الغالية .

إلى قرة عيني أولادي علاء معاذ وتسنيم لينة وإلى إخوتي حفظهم الله ورعاهم

لكل من كان عونا وسندا في هذا الطريق للأصدقاء الأوفياء لأصحاب الشدائد والأزمات، إلى زملائي في العمل كل باسمه في مدرسة الشهيد علالي التومي تاجموت، إلى من حبهم يعلو فوق كل شيء

لكل من كان عونا وسندا في هذا الطريق، إلى نوري المضيء الذي لا ينطفئ إلى جميع أفراد عائلتي الغاليين.

مقدمـة

مقدمة

تُعدّ الخطابة إحدى أبرز أشكال النثر في الأدب العربي، وتتأسس على قوة اللسان وحرفة الارتجال، ما جعلها فناً متفرداً تُعرف به العرب منذ العصر الجاهلي، لقد مثّلت الخطابة آنذاك وسيلة بيانية ذات أهمية جوهرية للتعبير عن قضايا البيئة والحياة العامة.

ومع مجيء الإسلام، اكتسبت الخطابة مكانة رفيعة؛ حيث أصبحت أداة مركزية في نشر الدعوة الإسلامية، وفي أنشطة الوعظ والإرشاد والتعليم.

شهد العصر الأموي تحوّلاً ملحوظاً في فن الخطابة، إذ باتت تعتمد اعتماداً كبيراً كأداة للتعبير عن المواقف السياسية وإقناع الآخرين واستمالتهم في مختلف الجوانب الحياتية، سواء الدينية منها أو الدنيوية.

وقد كان لظهور الأحزاب السياسية وتعدد الفِرق الإسلامية دور فعّال في تطوّر الخطب العربية خلال تلك الحقبة.

وأسهمت الأحداث السياسية الكثيرة التي ميّزت العصر الأموي في إحداث تغييرات ملحوظة في حياة الأمة العربية والإسلامية، حيث تصدّرت الشؤون السياسية الأولويات متفوقة بذلك على القضايا الدينية.

هذه الحالة عزّزت ازدهار الخطابة السياسية وزيادة عدد الخطباء الذين تميّزوا بالفصاحة والبيان، مثل "معاوية بن أبي سفيان".

امتلك "معاوية بن أبي سفيان" ثقافة أدبية ودينية رفيعة، حيث زاوج في خطبه بين الأدب والاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، مما أضاف بعدًا قويًا وداعمًا لموضوعاته.

فقد تجاوزت الخطابة في ذلك الوقت كونها مجرد تعبير شفهي، لتصبح وسيلة فعّالة للتعبير عن الواقع السياسي والعسكري والاجتماعي والديني.

ملخص الدراسة

أسباب اختيار الموضوع

ومن هذا المنطلق، جاء اختياري لهذا البحث مدفوعًا برغبتي في دراسة النثر العربي القديم، لا سيما فن الخطابة، الذي أرى أنه لم ينل الاهتمام الكافي مقارنة بالشعر.

كما أن ميلي إلى استكشاف فنون النثر دفعنا لتسليط الضوء على هذا الجانب المهم من التراث الأدبي.

وعلى هذا الأساس فقد تم حصر هذه الدراسة للكشف عن مضامين مختارة من خطب "معاوية بن أبي سفيان" وسماتها الفنية والأسلوبية ، لذلك اخترت أن يكون الخطيب معاوية بن أبي سفيان محورًا لدراستي وذلك من خلال الخوض في غمار هذا البحث الموسوم بـ "آليات الخطابة في العصر الأموي خطب معاوية بن أبي سفيان رضيّ الله عنه أنموذجا" لتكون نموذجا للدراسة والتحليل بالإجابة على هذه الإشكالية المطروحة وهي:

التساؤلات

- ما هو المنحى الذي أخذته الصيغ في الخطابة في العصر الأموي من جانبها الأسلوبي؟

وتفرعت هذه الإشكالية الى عدة تساؤلات وهي :

- ما السمات الفنية التي تميزت بها خطب معاوية بن ابي سفيان ؟
- وما الأسلوب الذي نهجه الخطيب معاوية بن ابي سفيان بالإضافة إلى نوعية الألفاظ المنتقاة واللغة المستخدمة؟

أهداف الدراسة

سعت الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، وهي:

- تحديد أنواع الخطابة في العصر الأموي ومجالاتها.
- بيان مدى تطور الخطابة في العصر الأموي مقارنة بالعصرين الجاهلي وصدر الإسلام.
- بيان خصائص الخطابة في العصر الأموي.

- دراسة الظواهر الأسلوبية في خطب معاوية بن أبي سفيان.
- دراسة أليات بناء الخطابة في العصر الأموي وبعدها الوصفي بتحليل الطرائق البلاغية والفنية.

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية الدراسة فيما يلي:

أولا: تسليط الضوء على أهمية العصر الأموي رغم قصر مدته، ومدى تأثيره في الأدب العربي بوجه عام والخطابة بوجه خاص؛ وذلك من خلال إبراز القيم والأساليب الجمالية التي استفتها من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وبيان تميز الخطباء الذين أظلهم هذا العصر.

ثانيا: إبراز أثر وفاعلية الخطابة السياسية خاصة، وبيان أساليبها ومضامينها.

منهجية الدراسة وأدواتها

اعتمدت هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي على صعيد إبراز ملامح العصر الأموي من خلال تحليل الظواهر الصوتية والتركيبية والبلاغية في خطبتي معاوية وذلك لإبراز الظواهر الفنية والجمالية على مستوى الصوتي كالإيقاع والنبر والتنغيم والتكرار الإيقاعي إضافة الى تنوع التراكيب وظاهر التقديم والتأخير على مستوى الجانب التركيبي وقد عمد معاوية الى استخدام الأساليب البلاغية من كالمحسنات اللفظية والبديعية لا براز القيمة الجالية في خطبه ، مركزين على آلية الوصف والتحليل ويعتمد على وصف الظاهرة اللغوية والخطابية وتحليل مكونتها الخطابية من المستويات الصوتية والتركيبية والبلاغية ،لفهم أليات بنائها ووظائفها ،وذلك لتحليل البنية الجمالية والأسلوبية في خطاب معاوية بن ابي سفيان.

حدود الدراسة

تتناول الدراسة "**آليات الخطابة في العصر الأموي خطب معاوية بن أبي سفيان نموذجاً**"، ويعود السبب في اختيار العصر الأموي إلى ما طرأ على الخطابة من تطور وازدهار وتنوع واتسامها بجزالة اللفظ ومتانة الأسلوب وقوة التأثير، وحسن الاقتباس من القرآن الكريم والسير على نهجه في الإقناع بالحجة والبرهان والتأثير في الوجدان، ومن الأحاديث النبوية الشريفة وتمثل بلاغتها وإيجازها.

الدراسات السابقة

1. **يمكن القول**: هناك القليل من الدراسات التي ركزت على بنى وأساليب الخطابة الأموية فكان التركيز غالبا على النصوص الخطابية وجزالة ألفاظها، ونذكر من هذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر:
   لعاني غانية: بلاغة النثر في العصر الأموي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران الجزائر، 2015.
2. عزيزة سعيد مصطفى مصيطف: المسكوت عنه في الخطابة في العصر الاموي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2023.

خطة الدراسة

مقدمة

مدخل عام لدراسة موضوع اليات بناء الخطابة في العصر الأموي .

❖ الفصل الأول : الجانب النظري

❖ الخطابة في العصر الاموي

- مفهوم الخطابة وأهميتها وعناصرها وتطورها مقارنة بالعصور السابقة
- دوافع ازدهار الخطابة في العصر الأموي وأنواعها
- الخطابة كوسيلة للتواصل السياسي والإعلامي في العصر الأموي
- خصائص الخطابة في العصر الأموي وأساليبها
- الأساليب الخطابية في العصر الأموي
- مميزات الخطابة في العصر الأموي .
- أثر البلاغة في الخطابة الأموية .

❖ الفصل الثاني : الجانب التطبيقي العملي

❖ معاوية بن أبي سفيان كخطيب بارز في العصر الأموي

- حياته ونشأته ودوره كخطيب بارز في سياق الحكم والسياسة
- نماذج مختارة من خطب معاوية –خطبة أهل المدينة ،خطبته عند وفاته
- دراسة تحليله لمستوى الأسلوب والمضمون في خطب معاوية
- الظواهر الأسلوبية في خطب معاوية بن أبي سفيان
- تأثير خطبه في تعزيز شرعية الحكم الأموي

صعوبات الدراسة

- قلة النصوص الأصلية والتحريف الذي طال بعض الخطب
- اختلاط الخطابة بالأسلوب الأدبي أو السياسي
- قلة الدراسات الأكاديمية المتخصصة خاصة في تحليل الظواهر الأسلوبية لخطب معاوية

أهم نتائج الدراسة

- توظيف البلاغة في خدمة السلطة بتوظيف المحسنات البديعية مثل الجناس والسجع لتعزيز السلطة .
- كثافة التراكيب الخبرية لتوكيد الرسائل السياسية واستخدام أدوات التوكيد.

وهكذا تم إنجاز هذا البحث بعون الله ولست أدعي أنني أتيت على كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع ولكنني التزمت بحدود الخطة التي رسمتها مع أستاذي المشرف، وإن كان هناك من كلمة أخيرة أسوقها بين يدي البحث فهي الإقرار بفضل **(الدكتور بن السايح لخضر)** على كل ما قدمه لي من عون لإنجاز هذا البحث ولم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة لإثراء موضوع البحث.

وختاما أقول: لم يحظَ النثر في العصر الجاهلي بنفس المكانة والشأن اللذين حظي بهما الشعر، ولكن مع ظهور الإسلام واتساع نطاق الدولة العربية وتطور مصالحها، اكتسب النثر أهمية أكبر كوسيلة تعبير أساسية في التعامل بين الحكام والمحكومين والرؤساء والمرؤوسين، وقد كان لهذا التطور أثر كبير على العصور

اللاحقة وخاصة العصر الأموي، حيث شهد النثر تنوعًا ملحوظًا في فنونه، واتسع استخدامه ليشمل أغراضًا متعددة، بخلاف النثر الجاهلي الذي كان يعتمد على أسلوب عفوي يخدم أغراضًا محدودة ذات طابع اجتماعي أو سياسي أو ديني مشبع بروح البداوة، أصبح النثر في العصر الأموي أكثر تنظيمًا وحرية، مستفيدًا من مظاهر الحياة الجديدة.

في هذا العصر، تأقلم النثر مع مختلف متطلبات الحياة العملية والفكرية، وساهم في الارتقاء بلغة التواصل إلى مستويات أرقى، فقد اتخذ أشكالًا متنوعة كفن الخطابة، وأدب الرسائل، وأدب العهود، إضافة إلى المناظرات والتوقيعات، وقد لعب دورًا محوريًا في التعبير عن قضايا المجتمع ونقل الحياة من حالة الصمت إلى ساحة التعبير الجهري الواضح.

مدخل عام

الخطابة من العصر الجاهلي الى العصر الأموي

أثر الإسلام في تطوير الخطابة الأموية

الأليات الخطابية في الخطابة الأموية

القيمة الأدبية في تحليل آليات بناء الخطابة في العصر الأموي

❖ الخطابة من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي

عرف العرب الخطابة و هي لون آخر من ألوان التلمس و البيان و ازدهرت على أيدي العرب في الجاهلية باعتبارهم أصحاب فصاحة وبيان و اعتمدوا عليها في المواقف التي تتطلب ذلك، ثم بلغ الخطيب عندهم مرتبة تفوق مرتبة الشاعر، إذ قال أبو عمرو ابن العلاء: "فإن الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ، ويهيج حروبهم ،ويفاخر عنهم ، ويهاجي من ناوأهم ، ويعيب من فرسانهم إذا ونى ، ويكذب عنهم إذا نسبوا إلى غير الجميل، فصار الخطيب عندهم فوق الشاعر"[1].

كما يدور موضوع خطبهم حول ظروف حياتهم المختلفة و ما تقلبت فيه من طوارئ و تغيرات و أحداث قليلة .... يقولون خطبهم في العرب و المواعظ و الدين و التعازي و الرحيل فلم تكن موحدة الموضوع و لم تقم على دراسة و نهج معين[2].

فقد استخدموا الخطابة لأغراض متنوعة كالمفاخرات والمنافرات بالأحساب و الأنساب و المآثر والمناقب و المجالس والأسواق.

و من الخطباء العرب وأشهرهم قس بن ساعدة الأيادي، و عمر بن كلثوم، و أكتم بن صيفي التميمي و عمر بن معد يكرب الزبيدي[3].

و إذا كان الكلام البليغ ميزة العرب الرئيسية... فإن الخطابة تغدو ميزة منعمة و هي ظاهرة أدبية نمت و تطورت و أخذت أبعادها الأكثر أهمية في الصدر الأول من الإسلام لما لها من تأثير في النفوس و مهارة في الأداء غرض سام من أغراض الدعوة الإسلامية فكانت ضرورية وظهورها بقوة أبرز الحاجة إليها، لأنها ظاهرة فنية تؤدي ما لم يؤده سواها من الفنون الأدبية، فقد "أصبحت أداة الدعوة واللسان الناطق بالرسالة،

---

[1]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام، محمد هارون، د/ط، مكتبة الجاحظ للنشر، بيروت، لبنان، د/ت، ص 28.

[2]- سالم معوش: القواعد المعرفية في أدب صدر الإسلام العربية، دار النهضة، ط1، 2000، ص 280.

[3]- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 117.

تشرح للناس أسرارها وتبين المثل والقيم التي أتت بها و توضح خفاياها، و تحبب الناس فيها و تدلهم على الهدى و الرشد والصلاح و تجادل خصومها و تفند آراء المخالفين لها"[1].

إذ تعد الخطابة أساسا رئيسا من أسس الدعوة وجوهر الدين الأمر الذي أدى إلى تطورها و شيوعها.

نهجت الخطابة نهجا جديدا في هذا العصر، فقد تعددت موضوعاتها فلم تقتصر على أيام الجمعة و العيدين بل كانت في الحروب و النكاح و الحج كما كانت إصلاح ذات البين و النهي عن المنكر و يقول الخطيب المعاصر الشيخ جعفر الهلالي : "إن الإسلام أضاف إلى الأغراض الخطابية التي كانت أربعة أغراض أخرى هي التبليغية و الوعظية و التربوية و السياسية"[2].

و من أشهر خطباء هذا العصر "الرسول صلى الله عليه وسلم" الذي كان يعد أخطب الخطباء ومن خطبه خطبة حجة الوداع.

و أبو بكر الصديق أيضا من أشهر خطبه التي قالها بعد النزاع بين المهاجرين والأنصار حول الخلافة بعد وفاة الرسول "أيها الناس نحن المهاجرون أول الناس إسلاما وأكرمهم أحسابا وأوسطهم دارا وأكرمهم أحسابا ، وقبائل العرب تعرف لنا ذلك[3].

واصلت الخطابة سيرها في طريق الازدهار ثم جاء العهد الأموي عهد الأوج السياسي و كان الخلاف قد وقع شديدا في شأن الخلافة وانقسم الناس فرقا و أحزابا، فكانت الخطابة أمضى سلاحا في ميادين الكفاح "كانت الخطابة الأموية امتداد للخطابة التي ازدهرت في أواخر العهد الراشدي و البيئة بيئة اضطراب سياسي و اجتماعي لاسيما بعد مقتل "عثمان بن عفان" فقد اصطرع المسلمون صراعا عنيفا لاسيما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إذ تفاقمت الخلافات حول القيادة والولاية، مما أدى إلى انقسام الأمة واندلا ع الفتن الكبرى .... وفي هذا الصراع كله كانت الخطابة وسيلة وعدة"[4].

---

[1]- محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في صدر الإسلام، دار الكتب، بيروت، لبنان، د/ط، 1980، ص 118.

[2]- علي الفتلاوي: رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرات، ص 11.

[3]- أحمد الهاشمي: جواهر الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج1، ط1، د/ت، ص ص 402-484.

[4]- حنا الفاخوري: الجامع في الأدب العربي، مرجع سابق، ص 358.

و كانت الخطابة السياسية أبرز أنواع الخطابة في هذا العصر لبروز الأحزاب و تطاحنها في صراع سياسي عنيف، و كان الخطباء من الخلفاء و الولاة و النواب فاتسمت خطبهم بقوة الشخصية و الاعتزاز بالنفس و بأسلوبها العربي الخالص[1].

كما ظهرت في هذا العصر خطب الجمع و الحفلات أو المحافل الدينية التي تفصل التعاليم وتدعو إلى الذكر وهناك أيضا الخطب الكلامية تعتمد على الفلسفة و النقاش اللاهوتي عن طريق العقل ... "و هناك الخطب الصوفية التي تدعو إلى الزهد والتصوف و التي تتحدث عن أباطيل الدنيا و التصعيد في المقامات"[2].

وفي هذا العصر شهدوا خطباء كثيرون و ذلك لحاجة الأحزاب إليهم، منهم معاوية بن أبي سفيان، و عمر ابن العاص، و وصال ابن عطاء، و زياد ابن أبيه و غيرهم[3].

إن الخطابة في الجاهلية كانت مهمتها النصح والإرشاد، والتفاخر وكذلك المنافرة والدعوة إلى حالة السلم ومحاولة حقن الدماء، وكانت الخطابة في العصر الجاهلي تعقد في الأسواق والمحافل والوفود على الملوك والأمراء معظم الخطابة التي وصلت إلينا من العصر الجاهلي يغلب عليها السجع.

أما عن الخطابة في العصر الأموي فقد كثرت دواعيها، واتسعت موضوعاتها، وذلك بسبب الفتن التي قامت في صداها الدولة الأموية، وأيضًا كان الخلفاء وولاتهم في أشد الحاجة إلى أن يبينوا سياستهم للناس، فبينوا إحسانهم وحكمهم.

كما أن الفتوحات الإسلامية لم تنقطع فوجد الأمويون فيها شغلهم الشاغل فكانت حروبهم تحتاج إلى الخطابة والبيان، وزادت الوفادة في ذلك العصر، الأمر الذي قد يدعوا الخليفة لإعلان النصرة والتأييد أو عقد حبل مودتهم، فعادةً ما يكون الوفود من أرباب البيان وكبار المتكلمين؛ لذلك كثرة الوفادة في هذا العصر، وكانت عاملًا من عوامل انتشار الخطابة.

وفي هذا العصر تفجرت ينابيع الحكمة، وفاضت بدائع الناس ويرجع هذا إلى المجادلات التي كانت تقوم بين الفرق السياسية، كما إنّ دعوة الخلفاء للخطابة والترويج لها كان سبباً للنهضة فيها، فكانت دُورهم

[1]- إميل ناصف: أروع ما قيل في الخطب، دار الجيل، بيروت، ط1، 2000، ص 19.

[2]- حنا الفاخوري: المرجع السابق، ص 395.

[3]- بشير الشريف البرغوثي: فن الخطابة العربية، دار النشر، عمان، الأردن، د/ط، 2007، ص 194.

منتديات لها، ليتبارى فيها أبلغ الخطباء، مما أدى إلى التفاخر بقدرة كل منهم على الخطابة وإجادتهم للبيان، فعرف ذلك العصر بأنه عصر نمو ورفعة للخطابة.

❖ أثر الإسلام في تطوير الخطابة الأموية

علمنا أن الخطابة قديمة قدم الإنسانية، وأما علم الخطابة فإن الباحثين فيقولون إن أول من دون علم الخطابة وجعل له أصلا وقواعد هم اليونان.

وذلك لأن أهل أثينا في عصر الفيلسوف اليوناني "بيركليس"، قويت فيهم الرغبة إلى القول واشتدت فيهم دواعيه، فأغرم الناس بالفصاحة وحب الكلمة وحسن الإلقاء وأصبحت الوظائف الراقية والمناصب العالية وقفاً على أصحاب الفصاحة وملوك البيان.

واتجهت عقول الناس وجهودهم إلى تعلم الخطابة والتمرين على الإلقاء وتطويع اللسان للنطق الصحيح والبيان الفصيح[1].

ولأجل هذا ظهرت نخبة من العلماء تستنبط قواعد وقوانينها بملاحظة الخطباء الناجحين والبلغاء النابهين، وبقياس مقدار التأثر من هذا أو ذاك ومراقبة أحوال الناس ورغباتهم وميولهم ومدى استجابتهم لأنواع الحجج والتصرفات، والأقوال، ثم أنشئت المدارس الخاصة بهذا الفن، وكانت في بدء أمرها لا تقبل إلا الشباب الأغنياء وأصحاب المكانة المرموقة يرسلهم ذويهم لتعلموا الخطابة وطريقة الأداء على يد أساتذة متخصصين في هذا الفن.

وقد جاء في هذا العصر أرسطو فجمع قواعد علم الخطابة، وضم شوارده وأودع ذلك في كتاب سماه: "الخطابة" فاتخذه الناس أصلا لهذا العلم ومرجعا يرجعون إليه، ثم جاء بعد ذلك العصر الروماني فنشطت فيه الخطابة نشاطها في العصر اليوناني وبلغت بذلك شأوا بعيدا.

وإذا وجهنا وجهتنا إلى الأمة العربية وجدناها قد بلغت من الفصاحة والبلاغة والبيان ما لم تبلغه أمة من الأمم قبلها أو بعدها، وكان الشعراء والبلغاء هم فخر القبيلة وعزها ، وكان من أشهر خطباء العرب قس بن ساعدة الأيادي ، الذي يقول في خطبته "يا أيها الناس اسمعوا وعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا، إنه من عاش

[1]– جامعة أم القرى ، مذكرة أصول الخطابة، مكة المكرمة ،عمادة شوؤن المكتبات ،2011، المقرر رقم 151 ص 5.

مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات، وأحياء وأموات، جمع وشتات آيات بعد آيات..."

نرى في هذه الخطبة الرائعة جزالة اللفظ وقصر الفواصل واستنتاج العبر من حوادث الأيام ومما يحيط بالإنسان ومن مصارع الطغاة، وكأنه يجول في الكون ليستدل به على فكرته وعلى وضوح غايته، مما يظهر براعة الخطيب ورسوخ قدمه في عالم البيان والحجة، وكان من خطباء العرب المشهورين، خارجة بن سنان خطيب داحس والغبراء، وخويلد بن عمرو الغطفاني خطيب يوم الفجار، وأكثم ابن صيفي وغيرهم كثير[1].

وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم في الأمة العربية بمعجزة لم يأت نبي أو يبعث بها رسول، ألا وهي كتاب يتلى وبيان يقرأ، فاق كلام البشر وقدرة الخلق وبلاغة الإنس والجن إلى يوم القيامة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الناس وأبلغهم وأخطبهم وتراث رسول الله صلى الله عليه وسلم محفوظ ومدون، ولقد بلغت الخطابة زمن الخلفاء الراشدين المكانة المرموقة واللائقة بها، فكان الخلفاء خطباء، يخطبون الناس في الجمع والأعياد والمناسبات ويخطبون الجيوش ويوجهون القادة.

وقد اقتبست الخطبة من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة نصاعة البيان وقوة الحجة وجزالة العبارة ورقتها، وتجنبت سجع الكهان والفخر والغرور ومدح القبيلة ونتن العصبية واستعلائها بالآباء إلى غير ذلك من عادات الجاهلية.

فاكتسبت بذلك قوة التأثير ووصلت إلى شغاف القلوب وغزت كل جنس ولون وارتفعت إلى نطاق الرسالة العالمية والحقيقة الإنسانية والعزة الربانية، وطغت بذلك على الشعر، حتى ترك بعض الشعراء الفحول الشعر بعد مجيء القرآن الكريم والسنة لما لهما من تأثير وبلاغة لا يرقى إليهما شيء[2].

إذًا كان ظهور الدعوة الإسلامية حدثاً عظيمًا، وتحولاً بارزًا وضخما في تاريخ الإنسانية، حيث بعث الله رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل، وبعد أن كان الناس في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، وبعد أن أسِنَت الحياة وفسدت بما ضلَّ الناس طريق الله رب العالمين، وصراطَه المستقيم، ومنذ ذلك الحين أهَلَّ على الخَطابة زمان جديد، كان إيذاناً بارتقائها وعلوِّ شأنها، فقد اعتمدت الدعوة الجديدة على الخَطابة في نشرها، والدفاع عن مبادئها ضد خصومها، وكذلك صنع المناوئون لها، ثم

[1]- مذكرة أصول الخطابة، مرجع سابق، ص 5- 6.

[2]- مرجع نفسه، ص6.

إن الإسلام بالإضافة إلى اعتماده على الخَطابة في نشر الدعوة، قد جعلها ضمن الشعائر التعبدية، ففرض خطبة كل يوم جمعة، لا تصح الصلاة بدونها، كما أن هناك الخطبَ المشروعة في الحج، وفي الاستسقاء، وفي الخسوف والكسوف، وفي الزواج، والجهاد وغيرها، كما أن الشريعة الإسلامية تحث دائما على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإسداء النصح للآخرين[1].

ولقد ارتقت الخَطابة في ظل الدعوة الإسلامية، وبلغت الغاية في الكمال مظهرًا وجوهرًا، أو أداءً ومضمونًا، وكان من أكبر عوامل ارتقائها وسموها؛ استمدادها من القرآن الكريم، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتأثّر الخطباء ببلاغة وفصاحة القرآن والحديث النبوي الشريف.

❖ الآليات الخطابية في الخطابة الأموية

هذا الأثر (الإسلام) جعل للخطابة الأموية تطوراً وازدهاراً أثر على الخطابة الأموية لاسيما من حيث جماليتها وفنيتها الأسلوبية واللغوية، مما أعطى لبعض الخطباء الدافع لتطويرها سواءً في لغتها أو تركيبها أو أدواتها وهذا ما جعلنا نتتبع الآليات الخطابية في خطب معاوية بن أبي سفيان من حيث مستواها الأسلوبي سواءاً الظواهر الصوتية او التركيبية أو البلاغية ،فالمستوى الصوتي تم دراسة ظواهر النبر والايقاع والتنغيم و الإيقاع اللغوي المستخدم في الخطب من خلال توازن الجمل ، أو التكرار اللفظي أو التوكيد والتأكيد المستخدم كالقسم التي تساهم في نقل نبرة القوة أو الضعف أو التهديد .

كذلك المستوى التركيبي الذي عني بدراسة طبيعة البنى التركيبية في الخطاب النثري الأموي، والتي كان لها الأثر البالغ في إضفاء صفه الأدبية عليه مثل بنيه التقديم والاعتراض والقصر والأساليب الإنشائية والتقديم والتأخير وتنوع التراكيب ،وقد تم استخلاص عدد من السمات الأسلوبية للخطاب السياسي عند معاوية بن أبي سفيان، فقد استخدم في خطابه الجمل النحوية البسيطة التي تقترب من الخطاب اليومي لأنها مباشره تلقائية وسريعة في الفهم والتأثير والاقرب للمتلقي، واعتمد على عناصر صوتيه تحدد المراد من المعنى مثل التنغيم كما رأينا كما لا يحتوي خطابه على جمل ثانوية كثيره فالجمل الخطابية قصيره تعتمد غالباً على المسند والمسند اليه مستخدماً الجمل البسيطة غير المتداخلة.

[1]-إسماعيل محمد علي، الخطابة في عصر صدر الإسلام ،شبكة الألوكة ،تاريخ الإنتاج ،2016م ،تمت الزيارة في 10ماي 2025

كما يعتمد الخطاب السياسي عنده على صور كالإيقاع والسجع والازدواج لتجميل الفكرة الموجهة الى المتلقي بجرس موسيقي يساهم في تأكيد المعنى ،كما كان للجانب البلاغي اثر الواضح في خطب معاوية بن ابي سفيان.

أما عن الأسس الهيكلية للخطابة فتمحورت في عناصر الخطبة المتمثلة في المقدمة والعرض والخاتمة ،فالمقدمة كان لابد أن تبدأ بالحمد والصلاة على النبي مع ذكر الاستشهاد من القران أو الحديث النبوي الشريف ،أما العرض فهو محتوى الخطبة والموضوع المتناول فيها سواءا كان الخطاب سياسي أو ديني أو عسكري ويحمل هذا الموضوع خاتمة تدعوا الى النصح أو الدعاء .

وفي السياق ذاته تحمل الخطبة الأليات المستعملة في جانبها اللغوي أو الأسلوبي من فصاحة اللغة وقوة اللفظ وجزالته، كالاعتماد على ما جاء في العصر الجاهلي الذي وظفت فيه اللغة القوية الفصيحة ،إضافة إلى استخدام المحسنات البديعية أو اللفظية منها السجع أو الطباق أو الصور البيانية المتمثلة في التشبيه أو الاستعارة أو الكناية لإعطاء جمالية للنص .

كما استخدمت في الخطابة الأموي أساليب كثيرة منها الأسلوب الإقناعي الذي يشد المتلقي من خلال الاستشهاد بالقران الكريم كالحث على طاعة الخليفة أو احقاق الحق وإبطال الباطل ،ويعمد الخطيب بهذا الأسلوب الى التدرج المنطقي بالحجج والبراهين الواقعية التي يعيشها الفرد داخل المجتمع ،هذا التاثير يأتي من خلال استعمال أسلوب الترغيب أو الترهيب الذي كثيرا ما نلاحظه في الخطابة الأموية التي شهدت إحتدام وصراع كبير حول شرعية السلطة .

القيمة الأدبية في تحليل آليات بناء الخطابة في العصر الأموي

" الأدب صورة للزمن الذي نشأ فيه، ولكل جيل أدب هو الذي يتمثل فيه عقليه أبنائه، الذين تظافروا على صوغه إما نقلاً أو إبداعاً، وقد أجاد العرض منذ العصر الجاهلي القول في فن الأدب، سواءً كان شعرا أو نثراً خصوصاً في فن الخطابة لما كان يستدعي ذلك من ظروف سياسية أو اجتماعية.

ونثر معاوية يتمثل في خطبه ورسائله وحكمه ،ولهذا الأدب له أهمية كبرى في خطب معاوية منها إقامة الدولة الأموية وتثبيت دعائمها، وأيضا أسهم في الدعاية لهذه الدولة المملكة الجديدة التي لم تكن مألوفة عند العرب منذ قبل.

ومن الواضح أن معاوية يعكس عقلا متفتحاً وذهناً متوقداً وتفكيراً منظماً ،وملكات حصيفة تثقفت بثقافه الإسلام وكتابه الحكمة ، وصارت معانيه منظمة وافكاره مرتبة، وهو فوق ذلك كله صورة الحياة الإسلامية في هذا العصر بما اشتملت عليه من أحداث سياسيه غير مسبوقة، وتركزت في هذا الأدب الحضارة الإسلامية التي أخذت تخز نفوس أولئك البدو ولكنها لم تتسول عليهم استلاء تاماَ.

وقد أكسبتهم الحضارة التي عاشوها سهوله في التعبير لم تكن متاحه لهم من قبل، أذابت من طبائعهم وقلد جفاف أساليبهم وخشونتهم ،فوجدنا العبارة الجزيلة التي تتجه أحيانا نحو الرقة وأحيانا نحو الفخامة وغزارة المعنى وتنوعها.

لقد أفاد معاوية كثيرا في بنائه الموضوع والفن في النصوص الأدبية من درايته ومعرفته بما يجول بخواطر الأخرين إذْ كان حاد الذكاء ثاقب البصيرة."[1]

إذا ما أردنا التحدث عن القيمة الأدبية في أليات بناء الخطابة في العصر الأموي نتحدث عن

إبراز البُعد الجمالي والبياني الذي يُسهم التحليل في الكشف عن جماليات اللغة من حيث الأساليب البلاغية (مثل السجع، الجناس، الطباق، التي تعطي بعدا فنياً واسلوباً جميلاً يلفت الخطيب بها المتلقي

كما كان لتجلّي الخصائص الأسلوبية الشخصية دورا هاماً في تحليل الأسلوب الفردي لكل خطيب، خصوصًا كخطباء بني أمية مثل معاوية والحجاج ،مما يبرز التميز بين خطيب واخر حسب لغته وحسب ذكاءه.

كما كان البعد السياسي والفكري دور هام فقد حملت الخطابة الأموية حمولات سياسية واجتماعية، إذ كان الخلفاء يستخدمونها لتبرير الحكم، وتثبيت النفوذ ،تُظهر كيف تمّ توظيف اللغة لأغراض سياسية وأحيانًا دينية، وهو ما يمنحها قيمة فكرية.

[1]- أحمد بن محمد إبراهيم اليحي :المستويات الفنية في خطب معاوية بن أبي سفيان (دراسة أسلوبية لخطب معاوية)،مجلة كلية الآداب ،جامعة بور سعيد ،العدد السابع،ص145 ،2012م.

أما عن البعد الفني للخطب الأموية تُظهر الدراسة كيف أن الخطبة الأمويّة اتسمت ببناء محكم، من حيث المقدمة والعرض والخاتمة، واستعمال الترتيب المنطقي للأفكار، مما يكشف عن نضج في التخطيط البلاغي.

الفصل الأول: آليات بناء الخطابة في العصر الأموي

المبحث الأول : مفهوم الخطابة وأهميتها وعناصرها

- مفهوم الخطابة
- أهمية الخطابة وعناصرها
- تطور الخطابة مقارنة بالعصور السابقة
- آليات الخطابة في العصر الأموي

تمهيد

عرف الأدب العربي عبر تاريخه أجناسًا أدبية متنوعة، فكان الشعر بمثابة ديوان العرب في العصر الجاهلي، كما احتلت الخطابة مكانة بارزة بين الأجناس الأدبية.

وقد اشتهر الكثيرون بفصاحتهم وسلاسة خطابهم، وبرزت أسماء مثل "قس بن ساعدة" و"أكثم بن صيفي"، الذين صاروا مضربًا للمثل في البلاغة وفن الإقناع.

شهد هذا الفن تطورًا ملحوظًا في العصر الإسلامي والأموي، حيث ظهرت الحاجة المتزايدة للنثر بدلاً من الشعر، نظرًا للتغيرات التي طرأت على طبيعة الحياة آنذاك.

فقد فرضت العقيدة الإسلامية واقعًا أدبيًا جديدًا ركّز على النثر كوسيلة للتعبير عن القيم والمبادئ.

هذا التحول أضفى اهتمامًا خاصًا على الأدب النثري، وجعله وسيلة هامة للتعبير عن روح الحضارة العربية والفكر العربي والمشاعر الإنسانية.

بذلك، يعكس تناول هذه الدراسة بُعدًا مهمًا في وصل التراث الأدبي بتاريخنا وثقافتنا، بوصفه صورة حية وصادقة للتجربة الإنسانية التي تتجلى في أدبنا عامةً والنثر على وجه الخصوص.

المبحث الأول: مفهوم الخطابة وأهميتها وعناصرها

❖ مفهوم الخطابة

كان لموضوع الخطابة اهتمام كبير منذ القدم عند العلماء الغربيين والعرب، حيث حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة، لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة[1].

أما علماء العرب فنجد ابن منظور يحددها لغة كما يلي: "الخطبة مصدر الخطيب، وخَطَبَ الخَاطِبُ على المنبر، واختَطَبَ يَخْطُبُ خَطَابَةً واسم الكلام الخطبة.

قال أبو منصور: والذي قال اللّيت، إن الخطبة مصدر الخطيب لا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر الجوهري: خَطَبْتُ على المنبر خُطبة بالضم، وخطِبت المرأة خطبة بالكسر واختطب فيهما، قال ثعلب: خطب على القوم خطبة فجعلها مصدرًا، وذهب أبو اسحاق إلى أن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع، وجمع الخطيب خطباء، وخطب بالضم خطابة بالفتح صار خطيباً"[2].

- **خطاب**: مصدر خاطب، ما يكلم به الانسان صاحبه، رسالة.
- **خطبة**: خطب، مصدر خطب، ما يخطب به من الكلام[3].

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري: "خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام ومن المجاز: فلان يخطب عمل كذا، يطلبه، وأخطبك الأمر، وهو أمر مخطب ومعناه أطلبك من طلبت إليه حاجة فطلبني"[4].

- **خطب**: خطابة صار خطيبا، خاطبه مخاطبة، وخطابا، كلمه وحادثه ووجه إليه كلاما ويقال خاطبه في الأمر: حدثه بشأنه، اختطب المرأة: خطبها، وفلانا دعاه إلى تزوج امرأة، تخاطبا: تكالما وتحادثا.

- **الخطاب**: وصف للمبالغة لكثير الخطبة، الخطيب الحسن الخطبة ومن يقوم بالخطابة في المسجد وغيره[1].

---

[1]- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، دار النشر افريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص 13.

[2]- ابن منظور: لسان العرب، مادة خطب، باب الخاء، مج 3، دار الحديث، القاهرة، د/ط 2003، ص 138.

[3]- جبران مسعود: رائد الطلاب المصور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 2008، ص 366-367.

[4]- الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفلك، بيروت، لبنان، د/ط، 2000، ص 167-168.

- خطبة، خطابة وخطبة على المنبر وعلى القوم ألقى خطبة، خطب خطابة صار خطيباً، الخطبة والخطيب والخاطب الرجل الذي يخطب المرأة، وهي خطبة وخطبته وخطيباه وخطيبته[2].
- **الخطاب**: مراجعة الكلام، والخطبة: مصدر خطيب، وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخطبة قام في النادي فقال: خِطْبٌ، ومن أراده قال: نكح، وجمع الخطيب خطباء، وجمع الخاطب خطاب، والخِطْبُ : المرأة، وهو الزوج، والمخطبة الخطبة إن شئت في النكاح، وإن شئت في الموعظة[3].
- **خاطبه**: كالمه وحادثه.
- **الخطاب**: الكلام والرسالة.
- **الخطب**: الحال والشأن.
- **الخطبة**: من الكلام المنثور ومن الكتاب صدره[4].

عرفها الجرجاني بقوله: "هو قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعاظ"[5].

عرفها أرسطو: " قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحدة من الأمور المفردة"[6].

الخطابة في اصطلاح الحكماء: "مجموع قوانين يقتدر بها على الإقناع الممكن في أي موضوع يراد، والإقناع حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك"[7].

عرفها أبو زهرة الذي عدها علمًا فقال: "إنها مجموع القوانين التي تعرف الدارس طرق التأثير بالكلام وحسن الإقناع بالخطاب، فهو يعنى بدراسة التأثير ووسائل الإقناع، وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات، وما ينبغي أن يتجه إليه من المعاني في الموضوعات المختلفة، وما يجب أن تكون عليه ألفاظ الخطبة

---

[1]- ابراهيم مصطفى، أحمد الزيات وآخرون: الوسيط، دار الدعوة، د/ط، د/ت، ص 287.

[2]- بسام عبد الله: قاموس نوبل، دار الكتاب الحديث، د/ط، 2011، ص 300.

[3]- الفراهيدي: العين، باء، الخاء، تحق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ص 419.

[4]- ابراهيم قلاتي: الهدى (قاموس مدرسي)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، طبعة حديثة، 2010، ص 161-162.

[5]- الجرجاني: معجم التعريفات، باب الخاء، تحق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، د/ط، د/ت، ص 87.

[6]- أرسطو طاليس : الخطابة، تحق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات ،الكويت ، دار القلم، بيروت، لبنان، د/ط، 1989، ص9.

[7]- علي محفوظ: فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، د/ط، د/ت، ص 13.

وأساليبها وترتيبها وهو بهذا ينير الطريق أمام من عنده استعداد للخطابة، ليربي ملكاته وينمي استعداداته، ويطلب لما عنده من عيوب، ويرشده إلى طريق إصلاح نفسه ليسير في الدرب، ويسلك السبيل[1].

"من خلال هاته التعاريف الاصطلاحية أخلص إلى أن الخطابة هي فن أدبي يلقى مشافهة، هدفه إقناع المتلقي من خلال وسائل الإقناع والتأثير فيه واستمالته لإيصال الفكرة المبتغاة، وكذا لا بد أن يكون الخطيب ذو صفات ومميزات واستعدادات مؤهلة لهذا الفن".

❖ أهمية الخطابة وعناصرها

والغاية من دراسة الخطابة وتعلم قواعدها، وممارستها؛ الوصول إلى التأثير في المخاطبين، وإقناعهم بما يُطرح عليهم من أفكار وموضوعات، واستمالة قلوبهم نحو رأي معين، لحملهم على فعل شيء أو تركه، أو اعتقاد أمر أو عكسه[2].

والخطابة في مجال الدعوة الإسلامية لها غاية شريفة، وأهداف سامية راقية، فالغاية منها إحقاق الحق وإبطال الباطل، وإرشاد الخلق إلى طريق الخالق سبحانه وتعالى، وذلك بدعوة الناس إلى الإسلام اعتقادا ومنهجا وتحذيرهم مما سواه، فالخطيب المسلم الداعية يبتغي من وراء التأثير في المخاطبين توجيههم نحو الخير، ولا يرمي إلى إقناعهم بغير الحق، ولا يحرص على استمالتهم إلا إلى ما فيه نفعهم وسعادتهم في المعاش والمعاد .

ومن هنا كان للخطابة فضل كبير، وشرف عظيم، لما لها من غاية عظيمة وسامية، وهي الأخذ بيد الناس إلى طريق الهدى والحق، والوصول بهم إلى السعادة في الدارين، والعلوم والصناعات إنما تشرف بشرف غايتها، وتسمو بسمو أهدافها.

ولقد ازدانت الخطابة شرفًا وفضلا إذ كانت أسلوب خيار البشرية وأفاضلها وصفوتها، وهم الأنبياء والمرسلون عليهم صلوات الله وتسليماته، وعلى رأس منهجهم في إرشاد الناس وهدايتهم إلى دين الله، وتعريف الخلق على الحق، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وفوائدها جمة، فهي التي تُعرف صاحبها كيف يمتلك القلوب، ويستميل النفوس، ويحرك العواطف نحو ما يريد، وقوانينها ترشد الطالب إلى مواضع الضعف

[1]- محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي ، ط2، 1980، ص9.(بتصرف)

[2]- إسماعيل علي محمد: فن الخطابة ومهارات الخطيب، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط5، 2016، ص 19.

وشعب السهو والزلل، فيقوى على دحض حجة المناظر، وتزييف سفسطة المكابر، وهي التي ترفع الحق وتخفض الباطل، وتفض النزاع، وتقطع الخصومات[1].

للخطابة أهمية كبيرة إذ تعد أحد الأساليب التي اتخذها أهل البيت(عليهم السلام) في عملية حفظ التراث الفكري، إذ كانوا (عليهم السلام) يعرضون في هذا الخطب مجموعة من المضامين الفكرية من أجل توعية المجتمع و تثقيفه، فكان لها دور كبير في شرح الكثير من القضايا و تبينها التي التبست على الأمة، نتيجة الضخ الإعلامي المعادي لنهج أهل البيت (عليهم السلام) و فكرهم الذي مارسته السلطات الحاكمة من أجل حرف التراث الفكري.

والخطيب البارع يقف بين ذوي المنازع المختلفة والآراء المتضاربة، فلا يزال يبين لهم النافع من الضار والصواب من الخطأ، حتى يجعل الجميع في قبضة يده، والخطيب البارع يقوم بين طائفتين استعرت بينهما نار العداوة والبغضاء فيذكرهم بعواقب التقاطع، ويحذرهم من نتائجه السيئة، فإذا القلوب مؤتلفة والنفوس متآخية.

ولسنا نبالغ إذا قلنا إنه قد يوجد خطيبٌ مِصْقَعٌ صاحب دعوة، يفعل الصالح دعوته ما قد تعجز عنه الجيوش بخيلها ورجلها، أو ما لا تبلغه إلا بشق الأنفس[2].

حدد بعض الباحثين المنشغلين في هذا الحقل عناصر الخطابة بثلاثة وهي:

1. **الخطيب**: (القائل أو المرسل).
2. **الخطبة**: (المقول فيه الموضوع، أو الوسيط).
3. **المتلقي**: (المستمع المرسل إليه، أو المستقبل).

أولاً: الخطيب:يعد الخطيب العنصر الأساس في تكوين الخطبة، فهو عماد نجاحها أو فشلها، فهو المؤدي لغرضها ولتحقيق هذا الغرض أو لتحقيق النجاح من خلال إقناع المتلقي والتأثير فيه فقد حظي هذا الأخير بعناية النقاد واشترطوا فيه شروطاً لتحقيق غايته أهمها:

[1]- المرجع السابق ،ص 20. (بتصرف).

[2]- المرجع نفسه، ص 20-21.

الثقافة الواسعة: أن يكون مطلعاً على جميع الميادين والمجالات بالإضافة إلى حفظه للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وأن يكون ملماً لجميع العلوم خاصة الإنسانية منها و العلمية.

الموهبة الفطرية: فقد روى "الجاحظ" لأحدهم قوله : "رأس الخطابة الطبع وعمودها الدُربة وجناحها رواية الكلام وحُليُها الإعراب وبهاؤها تخير الألفاظ والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه"[1].

جهارة الصوت: وتعد جهارة الصوت من أجل أوصاف الخطباء ومن ابرز من كانت له قوة في الصوت ، الشاعر عروة بن السباع قال أحد الشعراء :

إنْ صَاحَ يَوماً حَسِبْتُ الصَخْرَ مُنْحَدِراً

وَالرِيحُ عَاصِفَةٌ وَالمَوْجُ يَلْتَطِمُ

وَمِنْ عَجَبِ الأَيَامِ أَنْ قُمْتَ خَاطِباً

أَنْتَ ضَئِيْلَ الْصَوْتِ مُنْتَفِخُ الْسَحَر [2].

رباطة الجأش: وتعد من أعيب عيوب الخطيب، فهو إن فقد رباطة جأشه اعتراه التلعثم والاضطراب والخجل، لأن مواجهة الجماهير المترقبة من شأنه أن يذهب برباطة الجأش.

وندعم هاتان الفكرتان بقول "الجاحظ": "وأعيب عندهم من دقة الصوت وضيق مخرجه وضعف قوته، أن يعتري الخطيب البهر والارتعاش والرعدة والعرق"[3].

إذن وجب على الخطيب أن يكون مطمئن النفس واثقاً من نفسه، ثابتاً غير مضطرب فالمستمعون إن أحسوا بضعفه واضطرابه صغر في نظرهم، وهان كلامه في أعينهم، كما أن الاضطراب يورث الحيرة والدهشة، وهذه الصفة وهبية في أصلها إلا أنه باستطاعة الخطيب تنميتها واكتسابها بالدُربَة.

---

[1]- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحق: عبد السلام هارون، ج1، دار الجيل، بيروت، ص 59.

[2]- مصطفى البشير قط: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ،الأردن –عمان، د/ب، د/ط، 2009-2010، ص 100-101.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، المرجع السابق ، ص 128.

أن لا يتصنع في قوله وأن يتجنب التعقيد ولا التشدق: وذلك بأن يكون في جميع ألفاظه ومعانيه جارياً على سجيته، غير مستكره لطبيعته، ولا متكلفا ما ليس في وسعه، فإن التكلف إذا ظهر في الكلام هجنه وقبحه[1].

وهذا الأمر يُنفر المستمع ويشوش انتباهه وتركيزه من ناحية حيث تجعله قلقاً، ومن ناحية أخرى لا يتمكن من استيعاب لب الموضوع وأخذ العبرة و المنفعة منه.

مراعاة الحالة النفسية للمتلقي ومدى استيعابهم: (مدى تقبل الناس لكلامهم) فإن رأى منهم إقبالا عليه وإنصاتاً لكلامه أطال على قدر احتمالهم ونشاطهم لسماعه، فإن أحس منهم فتوراً وإعراضاً عنه أمسك عن الإطالة[2].

وفي هذا يقول "الجاحظ": للكلام غاية و لنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن قدر الاحتمال ودعا إلى الاستقبال والملال فذلك الفاضل هو الهذر والخطل ،وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يَعيبونه[3].

ذلك أن المستمع يلعب دوراً هاماً في نجاح الهدف الذي يسمو إليه الخطيب والخطبة معاً ألا وهو استيعاب مضمون الخطبة والعمل به، لهذا فعلى الخطيب مراعاة نشاط السامع بالدرجة الأولى، ويندرج تحت هذا الأمر سرعة البديهة عند الخطيب في حالة وجود إعراض من القوم الموقف أسعفته بديهيته بالخروج من محنته وأزمته وإلا ضاعت الخطبة وآثارها.

"كذلك عدوا من صفات الخطيب أن يكون لسانه سالماً من العيوب التي تشين الألفاظ مثل: وقد نبه المبرد على بعض هذه العيوب ، وعرف بها قائلا:

التمتمة: وهي التردد في التاء، والفأفأة: التردد في الفاء والحسبة أي تعذر الكلام عند إرادته"[4].

بمعنى فصاحة الخطيب وسلامته من أي عيب في لسانه قد يؤثر على الجمهور المتلقي لهذه الخطبة، مما يدفعه الجمهور إلى الانشغال عما يقوله الخطيب، ولعل مما يدل على العي والحصر عند الخطيب أن

---

[1]- عثمان موافي: في نظرية الأدب وقضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم،ج1، دار المعرفة الجامعية، د/ب، 2000، ص 79.

[2]- مصطفى البشير قط: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، المرجع السابق، ص 100.

[3]- الجاحظ: البيان والتبيين، المرجع السابق، ص 99.

[4]- مصطفى البشير قط: المرجع السابق ، ص 102.

يتشاغل بقتل إصبعه ومس لحيته وغير ذلك، وربما تنحنح وسعل، ومن مظاهر العي والحصر أيضاً: لجوء الخطيب لإفهام حاجته إلى الاستعانة بألفاظ عند مقاطع كلامه مثل ذلك: "يا هَنَاهُ ، و يا هذا، واسمع مني، واستمع إليّ ،وافهم مني أوَلست تفهم ،أوَلست تعقل فهذا كله وما أشبه ، عيٌّ وفساد" [1].

فانشغال الخطيب بحركات واستعانته بألفاظ معينة قد يُعد عيباً من العيوب التي تؤثر على مكانته أمام الجمهور، فيدرك الجمهور أنه غير متمكن من التعبير عن الموضوع الذي يهدف إليه، ومن الأمور المهمة التي وجب على الخطيب أن يتحلى بها، هي أنه كما قالت العرب أن "لكل مقام مقال"، فعلى الخطيب أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين باختلاف حالاتهم ولكل حالة من ذلك مقاماً، والمقام هو الذي يفرض الإيجاز أو التطويل والإيجاز في موضع التطويل تقصير والتطويل في موضع الإيجاز هذر، والإيجاز يكون لخاصة الناس من ذوي الأفهام الثاقبة، بينما التطويل يكون للعوام كما ينبغي عليه أن يجعل لكل طبقة ما يناسبها من الألفاظ مثال: كلام الملوك في مخاطبة السوقة[2].

وجب على الخطيب مراعاة الفروق بين طبقات المجتمع من خلال انتقائه للعبارات والألفاظ التي يستخدمها في خطبه، فلا يستعمل العبارات الصعبة والفصيحة لمخاطبة عامة الناس كما لا يعتمد العبارات البسيطة والمتداولة بين عامة الناس في مخاطبة الطبقة المتعلمة والمثقفة، ووجب أيضاً أن يتمتع بقوة العاطفة للتأثير على المستمعين مما يدل على ذلك قول "عامر بن عبد القيس": "الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان"، وأن يستعمل الإشارة فهي تعد في المرتبة الثانية من أنواع التعبير، مثال أن تكون باليد أو العين أو الحاجب أو السيف"[3].

ومن الشروط الأساسية التي يجب أن تتوفر في الخطيب قوة العاطفة الجياشة لاستمالة قلوب المستمعين، لأن الخطيب الذي لا يكون جياش العاطفة، حي المشاعر، رقيق القلب مرهف الإحساس، خرجت كلماته ميتة لا حياة فيها ولا روح، فالخطبة كالروح بالنسبة للجسد، لكن ينبغي أن تكون هذه العاطفة موزونة بالعقل الرشيد، والرأي السديد، وأن تكون خاضعة وموافقة لأحكام الشرع المجيد، بالإضافة إلى استعمال الإشارة للفت الانتباه وشد الجمهور إليه (الخطيب) للموضوع المطروح.

---

[1]- الجاحظ: البيان والتبيين، المرجع السابق، ص 113.

[2]- ينظر: مصطفى البشير قط، المرجع السابق، ص 100.

[3]- المرجع نفسه ، ص 103-104.(بتصرف).

إذا من خلال ما تم طرحه نستنتج أن مهمة الخطيب من المهام الصعبة والشاقة فهي تفرض عليه أن يستعد الاستعداد الكافي واللازم، في صواب الفكر وحسن التعبير وطلاقة اللسان وجودة الإلقاء، لأن الخطيب بلسانه ورقة جنانه وتجرده يقتلع جذور الشر من نفس المجرم ويبعث في نفسه خشية الله عز وجل وحب الحق وقبول العدل ومعاونة الناس، إن عمله إصلاح الضمائر وإيقاظ العواطف النبيلة في نفوس الأمة، وبناء الضمائر الحية، وتربية النفوس العالية في عمل خالص وجهد متجرد، يرجوا ثواب الله ويروم نفع الناس.

"بهذا الشكل نكون قد ألممنا بأهم الشروط التي تجب على الخطيب أن يتحلى بها، وذلك لغرض أو هدف واحد ووحيد ألا وهو إقناع المتلقي والتأثير فيه ومحاولة الوصول إلى وجدانه بطريقة سلسة خالية من التعقيد والملل باعتبار الخطيب عنصراً هاماً وأساسياً من عناصر الخطبة".

ثانياً : الخطبة (الموضوع)

تتضمن الخطبة ثلاثة أركان رئيسية هي: المقدمة، العرض، الخاتمة.

أ. **المقدمة:** هي أول ما يظهر من الخطبة، ممهدة للموضوع، وهي من أهم عناصر الخطبة التي تشد انتباه السامعين، وتهيئهم لسماع ما سيقول لهم الخطيب "والهدف منها إعداد السامعين لتقبل الموضوع، لذلك تأتي موجزة جذابة متصلة بالموضوع اتصالا وثيقا"[1].

على هذا الأساس وجب على المقدمة أن تكون حاوية لهدف الخطبة، بمعنى أن تفصح عن الموضوع، وأن تكون مشوقة إلى ما سيأتي بعدها، لهذا تكون عباراتها قصيرة ذات إيقاع حتى لا يمل المستمعون من الكلام بعدها، وكذلك وجب أن تفتح المقدمة عامة بالبسملة والحمد لله والصلاة على "النبي محمد صلى الله عليه وسلم"، وفي هذا يقول: "الجاحظ": "وعلى أن خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالتحميد وتستفتح بالتمجيد بـ: البتراء"[2].

ب.العرض: وهو الجزء الرئيسي من الخطبة وفيه يتم عرض أفكار الخطيب للمستمعين ومحاولة إقناعهم بتوظيفه للبراهين والشواهد بحيث يُفنّد أراء الخصم مع مراعاة اللياقة والتجافي ذاهباً إلى الإقناع والتأثير[3].

---

[1]- إميل نصيف: أروع ما قيل في الخطب، دار الجيل، بيروت، ط1، 2000، ص 5.

[2]- الجاحظ: البيان والتبيين، المرجع السابق، ص 6.

[3]- إميل نصيف: أروع ما قيل من الخطب، المرجع السابق ، ص 5.

ولتحقيق هذا الغرض السامي (الإقناع والتأثير) وجب اختيار اللفظ المناسب والملائم للموضوع العام للخطبة، ومراعاة وحدة الموضوع من خلال ربط جميع الأفكار الثانوية بالموضوع الرئيسي الذي تعالجه الخطبة، ومن المعلوم أن وحدة الموضوع في الخطبة يجب أن تتركز في أمر واحد يدور الكلام كله حوله، وتتجمع الأدلة التي هي عوامل الإقناع وهذه الأخيرة مقترنة بعناصر الخطبة، الخطيب، والمتلقي، وبهم تتعلق الغاية من الخطبة والموضوع.

"لأن لا بد في الخطابة من الملائمة بين العبارات والحجج وظروف الجمهور، فالعبارات فيها ذات طابع منطقي في الأداء ولكن براهينها يجب أن تبتعد عن حرفية الأقيسة المنطقية وذلك لأن الجمهور المخاطب لا يكون غالباً على حظ كبير من الثقافة فيصعب عليه متابعة الأقيسة المنطقية الجافة، وهذا هو السبب في أن الخطباء غير المثقفين أقدر على إقناع الجمهور من الخطباء المثقفين والأولون أبرع في القول أمام الجمهور لأنهم يصوغون الأفكار العامة المشتركة من موضوعات معارفهم فتأتي أقوالهم قريبة من الجمهور"[1]، وعلى هذا الأساس هناك نوعان من الأدلة والبراهين هما:

البراهين النطقية الموضوعية: وفيها تتجلى علاقة الخطابة بالمنطق فجميع الخطباء لا تخرج حججهم عن المثل والقياس المضمر وفي هذا الحكمة هي شبيهة بالقياس المضمر لأنها قول موجز.

البراهين الخلقية الذاتية: وهي الأسس النفسية للخطابة، منها ما يتصل بالخطيب، ومنها ما يتعلق بالسامعين وذلك لسهولة التسلل إلى أنفسهم والتأثير فيهم.

ت.الخاتمة: وفيها يلخص الخطيب موضوعه ويجذب سامعيه، لذلك يجب أن تكون موجزة وواضحة وقوية وداعية إلى مذهب الخطيب، لأنها هي آخر ما يبقى في أذهان السامعين[2]، فهي إجمالا ما جاء في الخطبة من أفكار.

وللخاتمة شروط أهمها:

أن لا تكون بعيدة عن الموضوع ولا مجددة لأدلة أو آراء جديدة، لأنها حينئذ لا تكون خاتمة وإنما تكون جزءاً من الخطبة وامتداداً لها.

---

[1]- ينظر: محمد الطاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام (العصر السياسي عصر الدولة الأموية) ،دار المعارف،ط1، ج2،مصر، 1968، ص 26.

[2]- إميل نصيف: المرجع السابق، ص 5.

ومهمة الخاتمة تكمن في تركيز معاني الخطبة واستمالة الناس نحوها وأن تحقق الهدف منها، وأن تكون قوية في تعبيرها وفي إلقائها، لأنها آخر ما يطرق سمع الناس ويبقى في آذانهم، وآخر صفات الخاتمة أن تكون قصيرة وحاسمة ومشوقة ومركزة وجامعة للفكرة[1].

ودليل ذلك أنها كانت تختم بعبارة يطيل الخطيب تكرارها، يقول "أبي بكر الصديق": "اللهم اجعل خير زماني آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك.

وقول "عمر بن الخطاب": "اللهم لا تدعني في عمرة، وتأخذني على غرة، ولا تجعلني من الغافلين"[2].

ثالثاً: المتلقي (المستقبل)

يعد المستمع العنصر الذي يوجه إليه الكلام في الخطبة، ولذلك يجب أن يكون الخطيب عالماً بهذا الجمهور، وواضعاً ثقافة الجمهور وعلمه أمامه عند تحضير خطبته، أي مراعاة مستويات الجمهور والمطابقة وفق مقتضى الحال، وإعدادها الصحيح الكافي، فالجمهور من حيث الثقافة إما أن يكون عامياً، أو مثقفاً، أو عالما.

فأما المتلقي العامي: هو الذي لم يحصل على حظ وافر من العلم والثقافة، وعند التعامل معه فعلى الخطيب مراعاة هذا الأمر، وذلك من خلال ابتعاده عن الكلام المعقد ولو كان فيه الأدلة والبراهين، ويلجأ إلى الموروثات من الأقوال والأمثال السائرة التي يعرفها الجمهور، ومن ثم يقتنع بها، لأن العاطفة هي المحرك الأساسي للجمهور.

أما المتلقي المثقف: فهو أميل إلى الأدلة والبراهين والأفكار والإقناع مع مراعاة تأثره بالعاطفة (لذلك على الخطيب أن يراعي البراهين والعواطف في خطبته).

أما المتلقي العالم: فهو الذي يجتمع في المؤتمرات العلمية والأدبية، وهنا يجب على الخطيب أن يحكم أدلته وبراهينه، ولا يستعمل أسلوب الخطاب المتبع مع العوام[3].

---

[1]- محمد طاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام، المرجع السابق ، ص 27.

[2]- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الادب، المرجع السابق، ص 339.

[3]- ينظر: محمد طاهر درويش ، المرجع السابق،ص27.

❖ تطور الخطابة مقارنة بالعصور السابقة

" للخطابة دور كبير عبر العصور في الحياة اليومية للشعوب والأمم ،حيث نشأت منذ القدم ،مع بداية نشوء المجتمعات ،ولذلك لا يخلو تاريخ الأمم السابقة من فن الخطابة وأدبها ،فاليونان كانوا يرون أنه لا جدوى من تعلم الفنون من دون الخطابة، ويرون أن الضرورة تحتم تعلم الخطابة واستخدامها للتأثير على المستمعين وكسب الجدل ،وقد نجح اليونان في الخطابة، لأنهم كانوا أساتذة العالم القديم ،ولأنهم رواد النزعة العقلية في العالم أجمع ، فكانت الخطابة عند الشعوب اليونانية ظاهرة عامة ، فكانوا السابقين لذلك"[1].

مرت الخطابة بمراحل مختلفة على مرّ العصور واختلفت أهميتها من عصر لآخر وفيما يلي توضيح لذلك:

عرف العرب فن الخطابة منذ القديم ،وتوسلوا بها في أمنهم وحروبهم ،ورخائهم وقضاياهم ،التي تستدعي مخاطبة الأخر واستمالته وكان لها في جاهليتهم شأن عظيم ،ومقام كريم.

الخطابة في العصر الجاهلي

"مما لا جدال فيه أن العرب الجاهلين كانت لهم خطب قوية ،وأنهم اعتمدوا عليها في مواقفهم الهامة ،واستعملوها في مجتمعاتهم ودعواتهم للحرب أو السلم ،وقد ذهب الكثير جدّاً من هذه الخطب مع الزمن، وحفظ لنا التاريخ قليلاً جدّاً منها كما حفظ أسماء خطباء مشهورين .

وقد كانت أسباب الخطابة متوفرة لعرب الجاهلية ،فهم ممتعون بحرية قلما توفرت لغيرهم ، ولهم مقدرة قوية على الحديث وتشقيق الكلام ، واللغة العربية ذات نغم يثير المتكلم السامع ،ويبعث الخطيب على الاستمرار في حديثه ،ولهذا كانت لهم القدرة على الارتجال ومواجهة الموضوع الذي يطرأ من غير أن يكونوا قد أعدوا له حديثاً ، ومع ذلك تأتي على لسانهم العبارات البليغة والحكم الصائبة قال الجاحظ: «ما هوا إلا

---

[1]- *محمد أحمد ضاعن الخوالدة ، تطور الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي ،رسالة ماجستير في اللغة العربية جامعة فيلادلفيا ،2015،2016 ص 9.*

أن يصرف العربي همه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني أرسالاً وتنثال عليه الألفاظ انثيالا »[1]،و لا يعني هذا كل خطبهم كان مرتجلا .

وللخطابة الجاهلية مواقف كثيرة ، أهمها ما ذكرنا من اجتماع القوم للتشاور في أمر من أمورهم كالقيام بحرب ،أو الاصلاح بين متنازعين ، ويأتي في هذه المواقف خطب ومحاورات ،ويتبع في ذلك الوصايا التي يقدمها رئيس القوم ففي اسواقهم كانت تقوم المنافرات والمفاخرات ،ففي هذه المواقف تظهر قوة البديهة العربية ،والقدرة البالغة على الارتجال .

وأكثر ما نجد في هذه الخطب والوصايا اتسامها بقصر الجمل ،وسرد الحكم ، حتى تكاد تنقطع الصلة بين جملة وأخرى ، وهي في جملتها خلاصة تجاربهم وخبرتهم بشؤون الناس ، أحداث الحياة ،وليس في حكمهم معان فلسفية عميقة ، لقلة ثقافتهم وعدم دراستهم ،ولكن لهم نظرات صائبة وأراء حكيمة لانزال نحتاج إليها ونستعين بها فيما يطرأ لنا من أحداث ومواقف تشبه ما طرأ لهم .

وخطب الجاهلين وأدعيتهم ومحاوراتهم ووصاياهم ،كلها مما يستعين به الخطيب الحديث ، ويجد فيها مددًا واسعاً بالرأي والفكر ، وبالتعبير والبلاغة .

كان لخطباء الجاهلية سمات وعادات استمرت إلى ما بعد ظهور الإسلام ولايزال الكثير منها موجوداً إلى الآن ، ذلك أن أغراض الخطابة ،والوسائل المؤدية إلى الإقناع لا تتغير إلا قليلاً" .[2]

وقد كانت قوة إحساس العربي وشدة حميته واندفاعه ومعيشته في الصحراء صافية السماء من أعظم الدواعي للخطابة والاتجاه إليها، فإن قوة العاطفة تدفع ذلك البيان إلى تبيانها، حياة العربي في الصحراء كانت حياة فروسية وقوة شكيمة دفعته إلى البيان دفعا[3].

وهناك سبب آخر يعلل ظاهرة ازدهار الخطابة في العصر الجاهلي، قد نمثله عندما نفكر في دافع الأدب الجاهلي وطبيعته الشفهية، فلو كان ثمة كتابة جاهلية لقدر للعرب أن يعبروا عن آرائهم من خلال الكتب والنشرات كما نعبر عن ذلك في عصرنا من خلال المجلات والجرائد والصحف، إلا أن الجاهليين لم يكونوا يلمون بالكتابة، وإن ألموا بها، فإنها كانت كتابة بدائية يسيرة لا تتعدى بعض الأرقام التجارية والعقود

[1]-الجاحظ، البيان والتبين ،المرجع السابق ،ج3،ص28.

[2]- عبد الجليل عبده الشلبي، الخطابة و إعداد الخطيب ،دار الشروق ،ط1،1941،ص164،165 .

[3]- محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، د/ب، ط1، 1934، ص 83.

السياسية، فالجاهلي محمول على أن يعبر عن آرائه بأدب شفهي مباشر، كانت الخطابة أيسر أسلوب من أساليبه وأولى الوسائل التي دأب عليها في سبيل تنازع بقائه، إذا فالنثر المسموع دون المكتوب كان واسطة التفاهم بين الجاهليين، ولا ننس أن العرب كانوا يجتمعون في الأسواق يتبادلون تجارة الفكر إلى جانب تجارة المال، وفي هذه الندوات كانت الخطابة تنشط للتأثير في المجتمعين[1].

الخطابة في العصر الإسلامي

كانت دواعي الخطابة في ذلك العصر تتفق مع ما عرض لهم، وما سادهم من حياة، وما طرأ عليهم من أحوال وشؤون سياسية واجتماعية، وكان بديهيا أن يكون أول الدواعي للخطابة الدعوة المحمدية والرد عليها، فقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم بذلك الدين الجديد في قوم القول صناعتهم والبلاغة جل عنايتهم، فناداهم بأبلغ القول، وخاطبهم بأروع الكلام، وخطب في مجامعهم مؤيدا رسالته ناشرا دعوته حتى ضاقت صدورهم عن سماع قوله بعد أن عجزوا عن مجادلته ومقارعة الحجة بالحجة، فامتشقوا الحسام وتكلموا بالبنان بدل اللسان، فالخطابة كانت الأداة الأولى للدعوة المحمدية، وكانت السلاح الذي يرفعه خصومه في الرد عليه، فكانت تلك الدعوة سببا في انتشار الخطابة ورفع درجة البيان، كان النبي صلى الله عليه وسلم يلقى الناس في مواسم الحج وفي المجامع، وفي المنتديات ويدعوهم إلى الاسلام ويأتي في ذلك بأبلغ الكلام[2].

كانت دواعي الخطابة وموضوعتها في ذلك لعصر تتفق مع عارض ،وما سادهم من حياة ،وما طرأ عليهم من أحوال وشؤون سياسية واجتماعية ،وكان بديهياً أن يكون أول الدواعي للخطابة المحمدية والرد عليها ،فقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم بذلك الدين الجديد في قوم ، القول صناعتهم ،وللبلاغة جل عنايتهم مؤيداً رسالته، ناشراً دعايته ،حتى ضاقت صدورهم، عن السماع قوله ، بعد أن عجزوا عن مجادلته وقارعة الحجة بالحجة ، فالخطابة كانت الأداة الأولى للدعوة المحمدية ،فكانت سبباً في انتشار الخطابة ورفع درجة البيان [3].

وأثرت الخطابة وأدت دورها في خلافة "أبي بكر الصديق" (رضي الله عنه) حيث الاختلاف في من يتولى الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وازدادت في خلافة "عثمان بن عفان" (رضي الله عنه)

[1]- إيليا حاوي: فن الخطابة وتطوره عند العرب، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 32.

[2]- محمد أبو زهرة: ، المرجع السابق، ص 299.(بتصرف).

[3]- المرجع نفسه ، ص 305.

فكان على الخطيب تأييد حزبه ودعوة القوم إلى نصرته فكانت هذه الأحداث عاملا فعالاً في ازدهار الخطابة، زد على ذلك الحرية القولية التي جاء بها الإسلام وأعطاها للجميع، وكان الخلفاء الراشدون يطالبون الناس بمؤاخذتهم ومحاسبتهم إذا حادوا عن جادة الحق والعدالة، وهذه الروح خليقة بأن تنهض بالخطابة، وتأخذ بيدها في طريق الرقي والازدهار، وزد على ما سبق من حرية الشورى التي جاء بها القرآن الكريم وطبقها الرسول الأمين.

"والخطابة تقوي المواقف الجادة، وهي في كل مواقفها تحتاج إلى الحرية التي تسمح للخطيب أن يقضي بذات نفسه ويعلن كل ما صدره، فإذا كبتت الحرية ضعفت الخطابة والعرب قد تمتعوا بالحرية والتشاور في أمورهم.

ولا شك أن حرية الفكر والرأي والقول في الأمة سبب هام من أسباب الرقي، فنمت الخطابة في الجاهلية وفي صدر الإسلام وكانت ركن السياسة والحكم والدين في العصر الأموي وصدر من العصر العباسي ثم خَفُتَ صوتها بعد أن تحولت الخلافة إلى ملك تظله الحضارة، ثم استردت في العصور الحديثة مكانتها بعد أن سعت الشعور للتحرر من قيود الطغيان والخروج من ظلمات الاستبداد"[1].

وبهذا نخلص إلى أن الخطابة في الجاهلية كانت نتاج تجارب ومشاهد في الحياة، وكذا قوة إحساس العربي واندفاعه وعيشه في الصحراء كان من أعظم الدواعي لازدهار الخطابة وأيضا قلة الكتابة في هذا العصر فُرضت المشافهة فكانت الخطابة سلاحهم، وفي العصر الإسلامي وبمجيئ الدعوة المحمدية لم يجد النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أداة ووسيلة يدافع ويحث بها إلى دين الله إلا الخطابة لينشر دعوته ويوصل رسالته.

الخطابة في العصر الأموي

هذا العصر من أزهى عصور الإسلام خطابةً ومحاورةً، ولم يكن حظ الخطابة من الرواج والنقاء في أي عصر من عصور الأدب العربي كله مثل ما كان في هذا العصر، خصوصاً في أول قيام للدولة، وأثناء بذل جهودها العديدة في تثبيت أقدامها ودحض خصومها[2].

[1]- مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ أداب العرب ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1،ج3 ،2010 ص254.(بتصرف)

[2]- عبد الجليل عبده شلبي ، الخطابة و إعداد الخطيب، المرجع السابق ، ص 210.

"سبب هذا الرواج أن دواعي كثيرة للخطابة كانت متوفرة الحرية واللغة حية سليمة وطيعة موفرة للمتكلمين، وظروف السياسة العامة تدعو إلى كثرة الخطب وتثير الحماس في نفوس الخطباء.

تعددت الأحزاب وظلت تتعدد لمدة طويلة، وُجد في أول الأمر حزبان كبيران، حزب "معاوية" وحزب "على رضي الله عنه"، ثم سرعان ما ظهر الخوارج وبرزت أيضا فجأة "موقعة الجمل" ثم ظهر حزب الشيعة بعد مقتل الحسين، كما ظهر حزب "الزبيريين" ثم حزب بن الأشعث ثم المختار الثقفي، واعتمدت كلها على الخطابة، ومع ما كان يلجأ إليه كل حزب من التحاف الدين والتستر بوشاحه، كان كل حزب ينتقد خصومه ويذكر معايبهم، وقامت لذلك محاورات ومناظرات كثيرة وعنيفة، وهي في جملتها لم تخرج عن منهج الخطابة، ولم يقف هؤلاء جميعا ضد الحزب الأموي فقط، فقد كان الإمام علي يحارب في جبهات متعددة ثم لما استقر الأمر لابن الزبير كان يحارب العلويين كما يحارب الأمويين، وقد عاقب منهم من عاقب، وناظر منهم من ناظر وله مع "ابن العباس" مواقف ،معلومة، كل هذه الخصومات والثورات اعتمدت على الخطابة واتخذتها وسيلة دعاية يدافع بها كل عن نفسه ويشهر بخصومه.

ساعد هذا أيضا أن المستمعين كانوا لا يزالون عرباً خلصًا، يفهمون اللغة ويقدرون الكلام الجيد البليغ، وكان ذلك مما يشجع ويبعث فيهم الهمة والنشاط على تجييد الخطبة وتجويد عباراتها.

وقد كثر فيها الاقتباس من القرآن رغبة في جعل الدعوة دينية ودفاعا عن مبادئ الإسلام ولما هدأت كل هذه الخصومات واستقر الأمر لبني مروان انبعث في الشعر نشاط قلل من نشاط الخطابة وأهميتها، ولكنها لم تنقطع"[1].

يعتبر العصر الأموي من العصور الإسلامية التي شهدت أحداث سياسية وتاريخية ذات أهمية كبيرة كانت ذات نتائج كبيرة، وامتاز ذلك العصر بالثراء اللغوي مما نتج عنه بروز طبقة من الخطباء المتخصصين في الخطابة بالمحافل.

تطورت الخطابة وازدهرت في العصر الأموي، إذ افتتن الخطباء فيها، كما عُدَّ العصر الأموي هو النموذج المكتمل للخطابة دون العصور السابقة الأخرى، إذ ازداد عدد الخطباء ازديادًا بالغًا، وتعدّدت طوائفهم ومذاهبهم الفكريّة، فكان لكل حزب من الأحزاب خطباؤه الخاصين، وكان الخطيب الأموي يتعمّد إلى استخدام أساليب خاصة من أجل التأثير في عواطف الجمهور وتفكيرهم كحُسن الحلية اللفظية من

[1]- عبد الجليل عبده شلبي ، الخطابة و إعداد الخطيب، المرجع السابق ، ص 211.(بتصرف)

الطباق، والجناس، والسجع، ومن ثمَّ أصبحت الخطابة فنًا عمليًا وإصلاحيًا، وبه يستتبع الخطيب هدفًا تعليمًا مهمًا.

الفصل الأول

المبحث الثاني :دوافع ازدهار الخطابة في العصر الأموي

دوافع ازدهار الخطابة في العصر الأموي

أنواع الخطابة الأموية

الخطابة كوسيلة للتواصل السياسي والإعلامي

عند الأمويين

المبحث الثاني: دوافع ازدهار الخطابة في العصر الأموي وأنواعها

❖ دوافع ازدهار الخطابة في العصر الأموي

قامت الدولة الأموية بعد انتهاء الخلافة الراشدة بمقتل سيدنا علي بن أبي طالب يوم **17** رمضان عام **40** هـ، ويعد بدء الدولة الأموية من تنازل "الحسن بن علي" رضي الله عنهما "لمعاوية بن أبي سفيان" رضي الله عنهما ، في (مسكن) يوم **25** ربيع الأول عام **41** هـ، واستمرت حتى معركة "الزاب الكبرى " التي جرت بين جيوش العباسيين وبني أمية، حيث هزم مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، وذلك في **11** جمادي الأولى عام **132** هـ، وبذا فقد دامت هذه الدولة ما ينوف إحدى وتسعين سنة، وقد توالت عليها أسرتان، وكان خلفاؤهما اثني عشر خليفة.

1) الأسرة السفيانية، وقد حكمت ثلاثة وأربعين عاما.
2) الأسرة المروانية، وقد حكمت سبعة وستين عاما.

ويكاد يجمع المؤرخون للأدب العربي على أن الخطابة شهدت في العصر الأموي أزهى عصورها، وأنها راجت رواجًا كبيرًا، لاسيما في أول قيام الدولة، ثم في مراحلها المختلفة[1].

وقد ساعد على هذا توفر دواعي الخطابة في ذلك العصر، والتي كان أبرزها وجود الخلافات المذهبية والأحزاب السياسية منذ فجر الدولة، بل منذ خلافة سيدنا "علي" كرم الله وجهه، فقد ظهرت الشيعة

[1]- إسماعيل علي محمد: فن الخطابة ومهارات الخطيب، المرجع السابق، ص 60-61.

والخوارج، وكان ثم حزب للإمام علي، وآخر لسيدنا معاوية، ثم بعد ذلك تتابعت الفتن والأحداث، فكان استشهاد "الإمام الحسين"، (ولما وصل خبر مقتل "الحسين بن علي" إلى الحجاز؛ أعلن "عبد الله بن الزبير" خلع "يزيد"، وبدأ يأخذ البيعة لنفسه من الناس)، وكان من أمرا "ابن الزبير" مع الأمويين من الحروب ما كان، كما قامت جماعة من الشيعة بالعراق واتفقوا على أن يأخذوا بثأر "الحسين بن علي"، ويقتلوا من قتله.

ثم كانت حركة "ابن الأشعث" التي خلع فيها يد الطاعة من الخليفة "عبد الملك بن مروان"، إثر خلاف وقع بين ابن الأشعث والحجاج بن يوسف بعد عام **80** هـ، وغير هذا من الأحداث، فضلا عن أن الخوارج بقوا شوكة في وجه الأمويين، ومصدر إثارة ضدهم.

في مثل هذه الأجواء تروج الخطابة، ويعمد كل حزب أو فريق إلى التركيز عليها كسلاح إعلامي خطير في استمالة الآخرين لصفه، والانتقاص من خصومه وقد كان من عوامل قوة الخطابة أيضا: حركة الفتوحات الإسلامية وتوسعها.

كما ساعد على ازدهار الخطابة في هذا العصر عوامل أخرى: منها: الجدل المحتدم بين الفرق الدينية، ومنها : كثرة الوفود على الخلفاء والولاة، وقيام بعض الوعاظ بالخطابة في المساجد ووعظ الناس، منذ نصبهم معاوية لهذا الغرض، ومنها: إقبال البلغاء على القرآن الكريم يحفظون ويدرسون، ونماء الثقافة اللغوية والأدبية في تلك الحقبة، والعناية بحفظ ما خلفه السابقون.

و مما ساعد على ازدهارها كذلك أنه كانت تعقد مجالس للمباراة في الخطابة، والسبق فيها، وكثيرا ما كان يُدعى الشخص إلى القول مفاجأة، ليختبر مقدار بيانه، وقوة جنانه، وحضور بديهته، ونهوض حجته، ومن ذلك ما عقده "عبد الله بن عمر بن عبد العزيز" والي العراق من مجلس للخطابة، تبارى فيه "خالد بن صفوان"، و"شبيب بن شيبة"، و"الفضل بن عيسى" ، و"واصل ابن عطاء"، وقد نال في ذلك المجلس قصب السبق "واصل بن عطاء"[1].

"نستنتج من خلال ما تم طرحه أن الفتوحات الإسلامية في عهد الأمويين، كانت شغلهم الشاغل واحتاجت إلى الخطابة والبيان لدعم الجهود الحربية.

[1]- إسماعيل علي محمد: فن الخطابة ومهارات الخطيب، المرجع السابق، ص 61-63.

كما ازدادت الوفود التي كان الخليفة يستقبلها، ما استدعى الإعلان عن النصرة والتأييد أو إظهار المودة والتحالف".

"غالبًا ما كان أعضاء هذه الوفود من أرباب البلاغة وكبار المتحدثين، الأمر الذي جعل الوفادة ظاهرة بارزة وزاد من أهمية الخطابة وانتشارها في ذلك الوقت.

شهد هذا العصر أيضًا انبثاق ينابيع الحكمة وتنوع إبداعات الناس، نتيجة للمجادلات بين الفرق السياسية المختلفة، وقد ساهم اهتمام الخلفاء بالخطابة والترويج لها في إنعاش هذا الفن، حيث تحولت مجالسهم إلى منتديات يتبارى فيها أبرز الخطباء لإظهار مهاراتهم البلاغية، هذا التنافس أدى إلى التفاخر بقدراتهم على الإقناع والبيان، مما جعل ذلك العصر يُصنف كفترة ازدهار ونمو للخطابة".

❖ أنواع الخطابة الأموية

كثرت أنواع الخطابة في صدر الدولة الأموية ووسطها، واتسعت موضوعاتها وتشعبت نواحيها، وكان أعظم أنواعها وأوسع موضوعاتها ما يلي:

1) **الخطابة السياسية**: كان الخلفاء وولاتهم في أشد الحاجة إلى أن يبينوا للناس سياستهم ليأخذوهم بها، إذ كانت نفوس المحكومين في قلق دائم مستمر وميل للخارجين فكان الخلفاء وأتباعهم يبينون حكمهم وعدالتهم، وإحسانهم للناس، ويرعدون ويبرقون، ويهددون وينذرون من يخرج أو يحيد عن القادة.

"كانت الخطابة الأموية سياسية في الدرجة الأولى ،فكان للحزب الأموي خطباؤه يدعون إلى طاعته ،ويعلنون حقَّه، ويناهضون مناوئيه ،ويهدّدون الخارجين والمارقين ومن أشهر هؤلاء معاوية بن أبي سفيان وزياد ابن أبيه ،والحجاج بن يوسف" [1].

2) **خطابة الاستخلاف والولاية**: ظهرت إلى جانب خطابة الوفود عند مبايعة خليفة أو تولية والي أو عامل، وهدفها تخطيط سياسة أو تسكين فتنة أو ما إلى ذلك، ومن أشهرها خطبة "معاوية" عندما وقف بالمدينة عام الجماعة وأعلن سياسته بقوله: (والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتي ولكني جالدتهم بسيفي هذا مجالدة[2].

[1]- محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، المرجع السابق ، ص 358-359.

[2]- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 359.

3) **خطابة الفتوح الإسلامية:** تنقطع الفتوح في العصر الإسلامي، ولعل الأمويين وجدوا فيها شاغلا للعرب يمنعهم من التفكير في أمرهم والانتفاض عليهم، فوجهوهم إلى البلدان لكي لا يكون بأسهم بينهم، ففي عصر "معاوية" فتحت بلاد شمال إفريقيا والهند وبعض أفغانستان، وفي عهد "عبد الملك" و "وليد" ابنه تم الاستيلاء على شمال إفريقيا و الأندلس، وامتد السلطان الإسلامي إلى بلاد "البنجاب" في "الهند "، واستولى "مسلمة بن عبد الملك" على "آسيا الصغرى"، وفي عهد "سليمان بن عبد الملك" حوصرت "الأستانة"[1].

4) **خطابة الوفادة:** كثرت الوفادة على الخلفاء والأمراء في هذا العصر لرفع شكايات أو إعلان النصرة والتأييد، وقد يدعو الخليفة بعض الوفود إليه، ليسدي إليهم يداً، أو يعقد حبل مودتهم أو يستعتبهم على سابقة منهم، والوفود عادة من كبار المتكلمين المجيدين، يلقون كلامهم في لسان مبين، وقول حكيم، وأسلوب محكم، وإذا اعترض عليهم سددوا الجواب، وأتوا بأحسن الخطاب، قال "ابن عبد ربه" في الوفادة أنها مقامات فضل، ومشاهد حفل، يتخير لها الكلام وتستعذب الألفاظ، وتسخر المعاني، ولا بد للوفادة عن قومه أن يكون عميدهم وزعيمهم الذي عن قوسه ينزعون، وعن رأيه يصدرون، فهو واحد يعدل قبيلة، ولسان يعرب عن السنة.

فالوفد يكون من أرباب البيان، والوفادة روحها اللسان والجنان، لذلك كانت كثرة الوفادة في هذا العصر عاملا من عوامل انتشار الخطابة وموضوعاً من موضوعاتها[2].

5) **خطابة المدح والتهنئة والعزاء:** كانت الخطابة في هذا العصر تقال في بعض الموضوعات التي كان يقال فيها الشعر، فكان من الخطباء من تكون كل خطبته مدحاً في خليفة، أو تهنئة بولاية، أو تعزية لفقد عزيز أو كريم، وقد تكون الخطبة أحياناً مشتملة التهنئة والتعزية عندما يتولى الخلافة ابن خليفة، فيجتهد الخطيب في أن تكون خطبته جامعة بين تعزية المواسى في فقده، والمهنئ بنيله، كان مرتجى كما فعل كثيرون من الخطباء في عزاء "يزيد بن معاوية" وتهنئته بالملك.

6) **خطابة الوعظ الديني:** الوعظ الديني هو الأمر بالمعروف في الدين ،والنهي عن المنكر .

كانت سيطرة الدين على بعض النفوس دافعاً لأن ينصرفوا إلى العبادة والنسك، والتقوى والإرشاد والدعوى إلى الله سبحانه وتعالى، ومنهم من انصرف إلى دراسة العقائد والتعمق في بحثها، ويكون له رأياً

[1]- محمد أبو زهرة: المرجع السابق ، ص 239.

[2]- – محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب المرجع السابق، ص 240.

فيها، دعا إليه، وحث عليه، ومنهم من عكف على مناقشة الخارجين على الإسلام الهادمين لبنائه والرد عليهم، فاستعان بالحجة، وقدم الدليل، ومن هؤلاء: "الحسن البصري"، و"مطرف بن عبد الله الخرشي"، و "بكر بن عبد الله المزني" و"يزيد بن أبان الرقاشي"، و"مالك بن دينار".

"من هذه الكلمات الموجزة علمت مقدار عناية الدين الإسلامي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،ولا غرابة في أن يعني به ذلك الدين السَمِح ،فأنه بناء الأمم ،وحفاظ الجماعات ،يمنعها من التردي في مهاوى الظلال والفساد "[1]

7) **خطابة المناظرة:** ظهرت في هذا العهد ولاسيما عند اشتداد الخلاف بين "علي" و "معاوية"، وبين أهل العراق والشام، ومن أشهرها خطبة "الإمام علي" في الخوارج وقد خاصموا "عبد الله بن عباس" رسوله إليهم، وفيها من روعة القول وقوة الحجة ما عجب[2].

8) **الخطابة الدينية:** إلى جانب الخطابة السياسية ازدهرت الخطابة الدينية بتعدد فروعها واختلاف تشعباتها، فهناك خطب الجمع والمحافل الدينية تفصل التعاليم الدينية .

"هذا النوع من الخطب دروس دينية يلقيها الواعظ على العامة ،يعرفهم فيها أصول دينهم والأحكام الشرعية العلمية التي يدعوا إليها وهذه الدروس إما بيان عقائد ،وإما بيان الأحكام والفضائل ، وأشهر خطيب ديني عرف العصر الأموي هو "الإمام علي بن أبي طالب"[3].

9) **خطابة الفتن:** الفتن التي قامت في صداها الدولة الأموية، وتأججت نيرانها واشتد لهيبها بعد موت "معاوية"، فقد انقسم المسلمون إلى أحزاب شيعة، خوارج، أمويين وزبيريين، وكان يدعو الناس إلى فكرته وتأييد دعوته، واشتدت الحروب بين هذه الطوائف.

وكان وراء السيوف الخطب القوية والعبارات الشديدة الدافعة إلى الموت رجاء مثوبة الرحمن أو طمعاً في السلطان، فالخطابة وجدت في تلك الفتن معيناً للقول وحافزا إليه، يذكر المعترضون على بني أمية مساوئهم وافتراءهم على ذوي الحق، ويرمونهم بالخروج على الدين ويذكرونهم بماضي أسلافهم في محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والسابقين، والأمويون يرمون أولئك بالبغي والخروج على الطاعة [4].

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 223.

[2]- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 359.

[3]- محمد أبو زهرة ، الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب ،المرجع السابق ،ص 239.

[4]- المرجع نفسه ، ص 239.

إن الخطابة وصلت في هذا العصر إلى أرقى ما وصلت إليه في اللغة العربية ولم تسعد العربية بكثرة الخطباء ووفرة الخطب مثلما سعدت به في هذا العصر، إذ كان القوم ورؤسائهم عرباً خلصاً يسمعون القول فيتبعون أحسنه ولم يخرج خطباء هذا العصر عن مألوف خطباء العصر الإسلامي.

❖ الخطابة كوسيلة للتواصل السياسي والإعلامي في العصر الأموي

واصلت الخطابة سيرها في طريق الازدهار حتى جاء العهد الأموي عهد الأوج السياسي وكان الخلاف قد وقع شديدا في شأن الخلافة وانقسم الناس فرقاً وأحزاباً، فكانت الخطابة أمضى سلاح في ميادين الكفاح.

كانت الخطابة الأموية امتداد للخطابة التي ازدهرت في أواخر العهد الراشدي وهي نتيجة الأحوال البيئة وصورة صادقة لها، والبيئة بيئة اضطراب سياسي واجتماعي ولاسيما بعد مقتل "عثمان بن عفان"، فقد اصطرع المسلمون صراعاً عنيفاً ولاسيما بعد "العلويون" و "الأمويون" منهم وقامت "الزبيرية" تطالب بالخلافة، كما قام الخوارج يكفرون "عليا " و "معاوية"، ونهضت القبائل في عصبية متجددة، تتناحر وتتجادل، وفي هذا الصراع كله كانت الخطابة وسيلة وعدة، وكان الخطباء في أصل كل حركة وفي قمة كل فتنة، وكانت الخطابة السياسية أبرز أنواع الخطابة في هذا العصر، لبروز الأحزاب وتطاحنها في صراع سياسي عنيف، وكان الخطباء من الخلفاء والأمراء والولاة والفؤاد، فاتسمت خطبهم بقوة الشخصية، والاعتزاز بالنفس والأنفة وبالقسوة، وبأسلوبها العربي الخالص[1].

وبالرغم من أن بواكر هذه الخطابة وجدت منذ صدر الإسلام لكن براعمها لم تتفتح وأغصانها لم تورق إلا في هذا العصر "العصر الأموي".

[1]- – محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب المرجع السابق، ص 239.

في هذا العصر برزت مجموعة متنوعة من الخطب التي لعبت أدواراً مهمة في مختلف المجالات، من بين هذه الخطب، هناك خطب الجمع والحفلات أو المحافل الدينية التي تهدف إلى نشر التعاليم، دفع الناس إلى الذكر والتذكر، وتشجيعهم على التقوى.

كما ظهرت الخطب الكلامية التي قامت على الفلسفة الكلامية والنقاش اللاهوتي بالاعتماد على العقل، إلى جانب الخطب الصوفية التي تدعو إلى الزهد والتصوف، وتتأمل في أباطيل الدنيا وتصعيد الروح في سلم المقامات .

بالتوازي، استمرت خطب الفتوحات ترافق الجيوش في شمال إفريقيا وبلاد السند والهند، حيث أثارت الحماسة في نفوس المقاتلين.

كما استخدمت الخطابة في المفاخرات والمناقضات التي دار رحاها بين أطياف أهل العصبية اليمنية والمصرية أو بين العرب من الشعراء، فضلاً عن ذلك، بقيت الخطابة تؤدي دورها التقليدي كما في الجاهلية وصدر الإسلام، سواء لتحريض على القتال، تقديم الوصايا، توضيح الأحكام الشرعية، التهنئة بالفتوح، أو المناسبات كصلاة الجمعة والعيدين وموسم عرفة.

يُعد العصر الأموي من أبرز عصور الأدب العربي القديم، إذ كان مرحلة انتقالية شهد فيها الأدب العربي نقلة نوعية من السياق الثقافي البدوي إلى السياق الثقافي الحضري الأكثر تعقيداً.

استمرت الخطابة في التطور خلال العهد الأموي الذي يُعرف بـ"عهد الأوج السياسي"، حيث احتدم الصراع حول الخلافة وانقسم الناس إلى فرق وأحزاب زادت فيها الفتن والاضطرابات آنذاك، شكّلت الخطابة مع الشعر سلاحين بارزين في ميادين الكفاح المختلفة .

تميزت الخطابة الأموية بأنها كانت محكومة بروح الخصام والجدل، ما أثرى مضمونها ومنحها عمقاً وقوة ودقة لفظية.

أكثر ما يثير الانتباه فيها هو البناء المنطقي المحكم وروح اللباقة التي جعلت الخطباء الأمويين يعرضون الباطل كأنه حق والحق كأنه باطل ببراعة فائقة. ظهرت أيضاً في الخطابة السياسية نزاعات ميكافيلية عبر تسخير الدين والتقوى لتحقيق أهداف سياسية، وفي الجانب الديني، تبنت الخطابة روح الجدل والفلسفة، بينما اتسمت خطابة الوفود ببلاغة مؤثرة أخاذة، أما خطابة الخوارج فامتازت بعاطفة دينية عميقة جعلت

كلماتهم تخترق القلوب بسرعة كالنار في الهشيم، فيما كانت خطابة الشيعة تجمع بين الصدق والعاطفة الحقيقية.

لطالما كانت الخطابة أداة رئيسية في حياة المجتمعات، سواء لدفعها نحو السلم أو الحرب، أو لتحقيق المثل العليا.

لم يكن غريباً أن تصبح وسيلة خطاب الأنبياء لأممهم، الأداة التي تلهم القادة جنودهم قبل المعارك وتشجعهم على مواجهة أعدائهم، والقوة التي يستخدمها الزعماء السياسيون والمصلحون لتوجيه أممهم نحو حياة أرقى وأكثر ازدهاراً كما بقيت الخطابة لسان حال الأحزاب لنشر أفكارها وترويج أهدافها بفاعلية كبيرة.

الفصل الأول : خصائص ومميزات الخطابة الأموية وأساليبها

تمهيد

المبحث الثالث: خصائص الخطابة في العصر الأموي وأساليبها

خصائص الخطابة في العصر الأموي (اللغوية والأسلوبية)

الأساليب الخطابية في العصر الأموي

مميزات الخطابة الأموية

أثر البلاغة العربية في الخطابة الأموية

تمهيد

ازداد النثر توسُّعًا بعد أن جاء الإسلام في العصر الإسلامي، وذلك للحاجة إلى المراسلات بعد اتساع الفتوحات الإسلامية، والحاجة كذلك إلى الخطابة من أجل تعليم الناشئين والداخلين إلى الإسلام، ثمَّ تطورت الخطابة وازدهرت في العصر الأموي، إذ افتتن الخطباء فيها.

كما عُدَّ العصر الأموي هو النموذج المكتمل للخطابة دون العصور السابقة الأخرى، إذ ازداد عدد الخطباء ازديادًا بالغًا، وتعدّدت طوائفهم ومذاهبهم الفكريّة، فكان لكل حزب من الأحزاب خطباؤه الخاصين.

وكان الخطيب الأموي يتعمّد إلى استخدام أساليب خاصة من أجل التأثير في عواطف الجمهور وتفكيرهم كحُسن الحلية اللفظية من الطباق، والجناس، والسجع، ومن ثمَّ أصبحت الخطابة فنًا عمليًا وإصلاحيًا، وبه يستتبع الخطيب هدفًا تعليمًا مهمًا.

❖ خصائص الخطابة في العصر الأموي (اللغوية والأسلوبية)

وكان للخطابة في ذلك العصر خصائصها الفنية الكثيرة ، ومنها:

1) الإعداد، حيث تنم خطب كثيرة عن العناية بإعدادها، والتأني في صوغها والتدبر في ترتيب أجزائها، وتنسيق أفكارها، والتأنق في أسلوبها.

2) افتتاح الخطب كان صورة من افتتاحها في صدر الإسلام في الأعم الأكثر، فأكثرها مبدوء بالحمد لله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسوله، وبعضها مبدوء بالتهديد والوعيد لتنبئ عن غضب الخطيب وترهيب السامعين بشديد عقابه، كبعض خطب "الحجاج"، وبعضها مبدوء بالشتم والتوبيخ لأن المقام مقام تقريع وتأنيب، مثل بعض خطب "زياد"، وكان بعضها يبدأ بالموضوع مباشرة، وغير هذا من الافتتاحيات بالنسبة لأجزاء الخطبة؛ بعض الخطب قائمة كلها على عرض الموضوع، وبعضها مقسمة إلى مقدمة، وعرض، وخاتمة.

3) وتمتاز الخطابة في هذا العصر بمشابهتها الشعر في إبراز المعاني والأفكار، وتوضيحها وتجسيمها في قوالب من التخيل والتضاد، كالتشبيه والاستعارة، والكناية، وعرض الصور المتضادة، والطباق، ونحوها.

4) وأما التعبير الخطابي فيتسم بقوة العبارة وجزالتها، وقصر الجمل والعناية بالموقع والرنين.

5) وكما كانت الخطب في صدر الإسلام ، فإن خطب هذا العصر يغلب عليها كلها الإيجاز المعتدل، ويقل فيها التوسط القريب من الطول، وتندر فيها الخطب المسهبة المطولة.

6) وقد تأثر كثير من الخطباء في خطبهم بالقرآن الكريم، فكثر اقتباس آيات من القرآن، ووضعها المواضع الملائمة لها من الخطبة، كما كان بعض الخطباء يعمدون إلى استمداد بعض مضامين خطبهم من القرآن الكريم[1].

7) وفي كثير من الخطب كان هناك استشهاد بالشعر، أو اقتباس من عباراته ومعانيه.

وهكذا بدت لنا ملامح الخطابة في العصر الأموي، وقد ظلت رائجة مزدهرة لما ذكرنا من أسباب ودواع، وخاصة ما كان من أمر الخصومات والثورات التي اعتمدت على الخطابة ، وجعلها وسيلة دعاية وحرب ضد الخصوم.

[1]- إسماعيل علي محمد: فن الخطابة ومهارات الخطيب، المرجع السابق، ص 63-64.

ولما هدأت كل هذه الخصومات، واستقر الأمر "لبنى مروان"؛ انبعث في الشعر نشاط قلل من نشاط الخطابة وأهميتها، ولكنها لم تنقطع، وقد كان الخوارج حتى آخر الدولة مسعرًا للخطابة كثيرًا[1].

خلاصة ما تم طرحه: اعتمد الخطباء في العصر الأموي على:

- استخدام النزعة الدينية .
- الاتكاء على معاني القرآن والأحاديث النبوية.
- توظيف العاطفة الدينية.
- الإيجاز والإجمال في توصيل الغرض من الخطبة.

❖ الأساليب الخطابية في العصر الأموي

- **أسلوب السجع**: يعد السجع من أبرز الظواهر البلاغية في الخطب بأنواعها، وكان السجع عندهم طبعا وفطرة، ولقد عرف عند العرب منذ الجاهلية واشتهر سجع الكهان وكان التكلف واضحا في أسجاع الكهنة.

وبعد الإسلام نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا النوع من السجع إلا أنه لم ينكره، وكان يأتي في كلامهم عفويا غير متعمدا، أما في عهد بني أمية فكان هناك من يتبع سجع الكهنة؛ ومنهم المختار الثقفي في: خطبة له لما تمت بيعته، وقيل أن أفضل السجع ما كان معتدلا متساويا، "واعلم أن الأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء، والنفس تميل إليه بالطبع"، والعرب الأقحاح القدماء لم يطلبوا السجع ولم يتخذوه مذهبا لهم في خطبهم وكتاباتهم، وإنما كانوا ينكرون من يسجعون عمدا ، " ولذلك أنكر عامل سجع الأعرابي حين شكى إليه بقوله: حُلِئتْ ركابي، وشققت ثيابي، وضربت صحابي، فقال له عامل الماء: أو تسجع أيضا؟ فقال له : فكيف أقول[2].

وللسجع عدة أضرب منها: المرصع و المتوازي والمطرف والمشطور، وهو نوعان: سجع قصير وهو تكون فيه كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة من لفظتين مثلا أو ثلاثة إلى عشرة، وآخر طويل وهو ما تكون فيه واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ كثيرة قد تصل إلى عشرين.

---

[1]- إسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص 64.

[2]- لعاني غانية: بلاغة النثر في العصر الأموي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران الجزائر، 2015، ص 42-43.

ويكمن السجع في معظمه في الخطابة الدينية الوعظية، ونذكر بعض الخطب المسجوعة، ومنها خطبة "سليمان بن عبد الملك بن مروان": الذي قال فيها: "الحمد لله الذي ما شاء صنع، وما شاء أعطى، وما شاء منع، وما شاء رفع، أيها الناس إن الدنيا دار غرور وباطل، وزينة وتقلب بأهلها، تضحك باكيها، وتبكي ضاحكها، وتخيف آمنها، وتؤمن خائفها، وتثري فقيرها، وتفقر مثريها، وميالة بأهله، عباد الله اتخذوا كتاب الله إماما وارضوا به حكما واجعلوه لكم هاديا ودليلا فإنه ناسخ ما قبل ، ولا ينسخه ما بعده، واعلموا عباد الله أنه ينفي عنكم كيد الشيطان ومطامعه، كما يجلو ضوء الشمس الصبح إذا أسفر، وإدبار الليل إذا عسعس".[1]

إن هاته الخطبة ذات بلاغة وجودة براعة، امتازت بمتانة السبك، وأناقة اللفظ، إذ ارتدت ألفاظها حلة جميلة، وتزينت ببلاغة الذكر المجيد، حيث تظهر الألفاظ القرآنية، والمعاني الإسلامية، وتميزت كذلك بحملها المسجوعة، والتي أكسبت الخطبة تشكيلة صوتية تمتع النفس وتبهجها وتبعدها عن الملل والسأم، وامتازت كذلك بتوازن عباراتها، وفيها من الأساليب الإنشاء ومن البديع المقابلات في قوله: "تضحك باكيها، وتبكي ضاحكها ، وتخيف آمنها، وتؤمن خائفها، وتثري فقيرها، وتفقر مثريها"، وقريب من هذا نذكر خطبة الحسن البصري: "يا ابن آدم، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا، يا بن آدم، إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم عليه، التواء هاهنا قليل، والبقاء ههناك طويل، أمتكم خير الأمم، وأنتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون"[2].

إن خطبة البصري مبنية على جمل مسجوعة، وعبارات دقيقة، ومما يبدو لنا من خلال دراسة الخطب الوعظية، أن موضوعها يدور حول التزهيد في الدنيا، وأن صورها متكررة من زوال الدنيا وغرورها، وبقاء الآخرة، فالدنيا متاع يباع لتشتري به الآخرة، وهاته الخطب الوعظية تأتي في أغلبها خطبا مسجوعة، ولعل سبب ذلك تأثر الخطباء بهدى القرآن الكريم، وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم، و لذلك اتخذهما الخطباء الوعاظ منبعين أساسيين لوعظ عامة الناس بالمواعظ الحسنة، كما أن ذلك التأثر أكسب الخطب الوعظية أسلوبا لينا وبليغا بآيات القرآن المجيد[3].

---

[1]-أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا ،كتاب الزهد ،دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق ،ط1،1999م،ص 78

[2]- لعاني غانية: المرجع السابق، ص 44-46.

[3]-المرجع السابق ، ص 46-47.

- **أسلوب الازدواج (المتوازن)**: والازدواج عند علماء البلاغة هو تجانس اللفظين المتجاورين نحو: من جد وجد ومن لجّ ولج، وغالبا ما يكون هذا النوع من الأسلوب مصاحبا للسجع، ويكون في الخطابة السياسية بشكل خاص، كما برز هذا الأسلوب بشكل خاص في كتابات "عبد الحميد" الكاتب ورسائله.

ومن أبرز الخطب في الازدواج نذكر خطبة "الحجاج بن يوسف" يتهدد أهل العراق فيها: "أيها الناس من أعياه داؤه فعندي دواؤه، ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله، ... إن للشيطان طيفا، وللسلطان سيفا، ومن سقمت سريرته صحت عقوبته، ومن وضعه ذنبه، رفعه صلبه، ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة، إن الحزم والعزم سلباني سوطي، وأبدلاني به سيفي".

إن فواصل الخطبة متوازنة ومزدوجة، مما أعطاها رونقا جميلا، وتناغمت جملها كونها شملت على سجعات متنوعة، وبعض الطباق، والتجنيس، ونلمح أن الخطبة موجزة[1]

مميزات الخطابة في العصر الأموي وأثر البلاغة

❖ مميزات الخطابة في العصر الاموي

ومما تميزت به خطابة الأمويين الفصاحة وجودة القريحة، وهذا من صميم البلاغة العربية القديمة، فالعسكري يرى أن "أول آلات البلاغة جودة القريحة وطلاقة اللسان ... وذلك من فعل الله تعالى لا يقدر العبد على اكتسابه"، فمن مقومات البلاغة الطبع والفطرة أو الموهبة[2].

ونجد الخطباء في هذا العصر ساروا في خطابتهم على ما كان عند الجاهليين، و بعد ظهور الإسلام بدا أثر القرآن الكريم واضحا في كلام الأمويين، ومن أهم ما اتسمت به الخطابة عذوبة ألفاظها وسهولة أسلوبها وانتهاجها منهج القرآن في الإرشاد والإقناع، ويُروى عن العرب أن ما تحتاجه الخطبة رباطة الجأش وسرعة البديهة، وفصاحة اللسان، وتوفر عنصر البيان، والاستشهاد بالقرآن، وفي هذا الشأن يرى "الراغب الأصفهاني" أنه: "يجب أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح، قليل اللحظ متخير اللفظ، جهير الصوت، وأن يضع في صدر كل خطبة من النكاح والعيد والصلح ما يدل على عجزها، وأن تكون فيها آيات وإلا كانت شوهاء"، ويذكر قدامة بن جعفر أن من أوصاف الخطابة "أن تفتح الخطبة بالتحميد

[1]- المرجع نفسه ، ص 47-48.

[2]- المرجع نفسه ، ص 48.

والتمجيد، وتوشح بالقرآن وبالسائر من الأمثال، فإن ذلك مما يزين الخطب عند مستمعيها وتعظم به الفائدة فيها، ولذلك كانوا يسمون كل خطبة لا يذكر الله في أولها البتراء، وكل خطبة لا توشح بالقرآن والأمثال الشوهاء، ولا يتمثل في الخطب الطوال التي يقام بها في المحافل بشيء من الشعر، فإن أحب أن يستعمل ذلك في الخطب القصار والمواعظ والرسائل فليفعل[1]".

وعرف العرب قديما ببراعتهم في الخطابة على غيرهم من الأمم، و قد صرح الجاحظ ذلك بقوله: "وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر، وله أقهر، وكل واحد في نفسه أنطق ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم للكلام أوجد، والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر".

يرى الجاحظ أن العرب لديهم القدرة والشجاعة على الكلام، وحظهم من البيان أوفر، وأنهم يجيدون اللغة من غير تكلف و لا صنعة، فالكلام الفصيح والبليغ فطروا عليه[2].

كما أن الخطباء العرب تميزوا بالقدرة على تصنيف الكلام وتمييزه، ومعرفة جيده من رديئه، ومعرفة القواعد التي تجرى عليها الخطب، وإن لم تكن مدونة مقروءة، إلا أنهم تعارفوا عليها وتداولوها فيما بينهم من فترة الجاهلية إلى عهد الأمويين، ومن مثل ذلك ما تحدث عنه "ابن المقفع" في الابتداءات أو الافتتاحات وما يجب أن تكون عليه: "وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن أبيات الشعر، البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته".

ويبدو أن "الجاحظ" علق على قول "ابن المقفع" وفسره وشرح مقصده، وضرب له أمثلة، فقال: "كأنه يقول: فرق بين صدر خطبة النكاح وخطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك، وإلى العمود الذي إليه قصدت، والعرض الذي إليه نزعت، فكلام "الجاحظ" هنا يشير به إلى ما يسمى بحسن الابتداء وهو ما يجيده البليغ، ومن الابتداء ما هو قبيح، ويرى أن الابتداءات تختلف من خطبة إلى خطبة فمن يكون في الوعظ ليس كمن يخطب في السياسة وفي خطب النكاح[3]

❖ أثر البلاغة العربية في الخطابة الأموية

[2]- الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني ،محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، مكتبة الهلال ، القاهرة ،ج1902،1

[2]- لعاني غانية: ، المرجع السابق، ص 48- 50.

[3]- المرجع نفسه، ص 50.

من أدوات البلاغة التي يحتاجها الكاتب والخطيب والشاعر الفطرة والموهبة، أي ما يسمى بالطبع، فلا نجد بلاغة بدون طبع، فهي مبنية عليه لاعتباره أهم الأسس البلاغية الفنية، ولذلك نجد أبا هلال العسكري يذكر أن أول آلات البلاغة جودة القريحة، وهذا لا نكتسبه وإنما نطبع عليه.

والطبع وحده غير كاف، فهو مصحوب بمقومات منها الدُّرَّية والمران، ولا ننسى كذلك الاستعداد النفسي والذهني، فالحالة النفسية تؤثر سلبا أو إيجابا على الخطيب مثلا، أو الكاتب أو الشاعر، فعلى الأديب أن يكون خالي الذهن من كل المعوقات التي تعترضه أثناء العملية الإبداعية.

و البلاغة هي "إصابة المعنى والقصد إلى الحجة مع الإيجاز، ومعرفة الفصل من الوصل، وقيل: العاقل من خزن لسانه، ووزن كلامه، وخاف الندامة، وحسن البيان محمود، وحسن الصمت حكم، وربما كان الإيجاز محمودا... ولكل مكان مقال، ولكل كلام جواب، مع أنَّ الإيجاز أسهل مراما وأيسر مطلبا من الإطناب، ومن قدر على الكثير كان على القليل أقدر والتقليل للتخفيف، والتطويل للتعريف، والتكرار للتوكيد، والإكثار للتشديد... وإلى هذا ذهب من عدَّ الإكثار عيًّا، والإيجاز بلاغةً"[1].

ومما أُثِر عن "عبد الله ابن المقفع" من كلام في الإنشاء والبلاغة: "إياك والتتبع لحواشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فإن ذلك هو العيّ الأكبر، وقال لآخر: "عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنب الألفاظ السفلة، وقيل ما البلاغة؟ فقال: "الذي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها"[2].

و يرى الحصري القيرواني أنه لم يفسر أحد البلاغة تفسير "ابن المقفع"، إذ قال : " البلاغة اسم لمعان في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون خطبا، ومنها ما يكون رسائل، فغاية هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة"[3]، فأما الخطب فيما بين السماطين وفي إصلاح ذات البين، فالإكثار في غير خطل، والإطالة في غير إملال.

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 14-15.

[2]- الجاحظ : البيان والتبين ، المرجع السابق ، ج1،ص139.

[3]- المرجع نفسه ،ص114

فالبلاغة إذن مجموعة الخصائص التي توفر للقول الجودة والرقي، وأعلى طبقات البلاغة بلاغة القرآن الكريم، وما دون ذلك بلاغة البلغاء من الناس فمنهم الخطباء ومنهم الكتاب؛ ودرجة البلاغة تتفاوت عندهم من شخص إلى آخر، وقسمت البلاغة عند القدماء إلى إيجاز وتشبيهات واستعارة وتجانس وتضمين وفواصل[1].

[1]- لعاني غانية ، المرجع السابق، ص 15-16.

الفصل الثاني :الظواهر الأسلوبية في خطب معاوية بن ابي سفيان

خطبة أهل المدينة –خطبة وفاته

المبحث الأول: سيرة معاوية بن أبي سفيان

حياته

دوره كخطيب بارز في سياق الحكم والسياسة

المبحث الثاني : دراسة تحليلية لخطبه

نماذج مختارة من خطبه (خطبة أهل المدينة –خطبته وفاته)

تحليل الأسلوب والمضمون لخطبتي معاوية

المبحث الثالث : الظواهر الأسلوبية في خطبتي معاوية بن أبي سفيان

تحليل المستويات الصوتية والمستويات التركيبية والمستويات البلاغية في خطب معاوية

تأثير خطبه في تعزيز شرعية الحكم الأموي

تمهيد

ازدهرت الخطابة في العصر الأموي حيث كانت اللسان الناطق باسم الدولة الأموية وخصومها على السواء.

والواقع أن الدولة الأموية وعصرها يمثلان نموذجا للعجب، فتلك الدولة التي عاشت أقل من قرن هي التي امتدت فيها الفتوحات العربية فيما بين حدود الهند والصين شرقا إلى جبال البرانس جنوب فرنسا، ودمرت أسطول البيزنطيين ووصلت بالفتح الإسلامي إلى بعض جزر البحر المتوسط، هذا في الوقت الذي عاشت فيه الدولة الأموية حروبا هائلة في الداخل ضد خصومها من الخوارج والشيعة والموالي والأقباط والبربر، وحتى من داخل البيت الأموي نفسه، وهكذا حتى جاء الخطر الأكبر على الدولة متمثلا في الدعوة العباسية لتقضي على الدولة الأموية في ريعان شبابها بعد أن أجهدت نفسها في حروب داخلية وفتوحات خارجية.

لذلك فإن التاريخ لهذه الدولة الأموية قد تم بعد سقوطها، وفي عهد الخلافة العباسية المعروفة بعدائها الشديد للأمويين؛ فغياب التدوين وعدم الاهتمام الكبير بالمراسلات الخطية أفرد مكانا مهما للخطبة الشفهية المعبرة عن الروح الأصيلة للعربي الذي كان يفاخر وقتها بفصاحته وشجاعته، أو بأنه يمتلك فصاحة اللسان وشجاعة السنان، ومن هنا يمكن القول بأن الخطبة كانت أهم عنصر دعائي في العصر الأموي للخليفة أو الوالي أو الثائر على السواء، وبازدهار الخطب السياسية الدعائية فقد عرف العصر الأموي ما يمكن تسميته بالمناظرات الخطابية، حيث كانت الخطبة تحل محل السلاح في موضع لا مجال فيه لاستعمال هذا الأخير، وحينئذ يتم التحارب بالخطب بديلا عن الأسلحة.

المبحث الأول: سيرة معاوية ودوره السياسي

❖ حياته ونشأته

يترجم له السيوطي بقوله: (هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، الأموي، أبو عبد الرحمن، أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة، وشهد حنينها وكان من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه، وكان أحد الكتاب الرسول الله صلى الله عليه وسلم.

روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم مائةَ حديث وثلاثة وستون حديثاً، روى عنه من الصحابة: "ابن عباس"، "وابن الزبير"، و"أبو الدرداء"، و"جرير البجلي"، و"النعمان بن بشير"، وغيرهم، ومن التابعين "ابن المسيب"، و"حميد بن عبد الرحمن" وغيرهم).

وقد ذكر السيوطي أن توليه الخلافة من ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، فسمى هذا العام عام الجماعة، لاجتماع الأمة فيه على خليفة واحد.

ومات معاوية في شهر رجب سنة ستين، ودفن بين باب الجابية وباب الصغير، وقيل: إنه عاش سبعًا وسبعين سنة، وكان عنده شيء من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلامة أظفاره فأوصى أن يجعل في فمه وعينيه، وقال: افعلوا ذلك وحلوا بيني وبين أرحم الراحمين.

ويذكر أبو الحسن الروحي أنه خوطب بأمير المؤمنين وهو بالشام بعد التحكيم، وبويع له بالخلافة ببيت المقدس سنة أربعين، وتوفى بدمشق مستهل رجب سنة ستين[1].

ويقول "ابن خلدون" عنه: "وتعين بنو أمية للغلب على مضر وسائر العرب ومعاوية يومئذ كبيرهم، فلم تتعده الخلافة ولا ساهمه فيها غيره فاستوت قدمه واستفحل شأنه واستحكمت في أرض مصر رياسته وتوثق عقده، وأقام في سلطانه وخلافته عشرين سنة ينفق من بضاعة السياسة التي لم يكن أحد من قومه أوفر فيها منه يدا من أهل الترشيح من ولد فاطمة وبني هاشم وآل الزبير وأمثالهم، ويصانع رؤوس العرب

[1]- أحمد بن محمد إبراهيم اليحيي: المستويات الفنية في خطب معاوية بن ابي سفيان (دراسة أسلوبية)، مجلة كلية الآداب، جامعة بو سعيد، العدد السابع، يناير 2016، ص 147.

وقروم مضر بالإغضاء والاحتمال والصبر على الأذى والمكروه، وكانت غايته في الحلم لا تدرك وعصابته فيها لا تنزع ومرقاته فيها نزل عنها الأقدام"[1].

❖ دوره كخطيب في سياق الحكم والسياسة

كان معاوية واليا على الشام منذ سنة (18هـ) بعد أن عينه عثمان بن عفان، وعلى الرغم من الصراعات الداخلية والحرب الضروس في معركة "صفين"37هـ بين علي ومعاوية إلا أن معاوية ظل واليا على الشام حتى مقتل على رضي الله عنه، لقد كان صراعاً داميًا وحربًا ضروسًا ومعارك تلو المعارك.

"اشتهر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بالحلم والدهاء والحنكة، مكث في القيادة أربعين عاما: عشرون منها واليا، وعشرون منها أميرا، وقد استطاع بفضل حلمه وأناته وخطابه الرزين ، وحسن سياسته، أن يملك قلوب أعدائه، قبل أودائه وكان يقول: لو أنّ بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، كانوا إذا مدّوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها.

وما هذا إلا لكمال عقله فقد كان لبيبا عالما حليما، ملكا قويّا، جيّد السياسة حسن التّدبير لأمور الدنيا، حكيما فصيحا، بليغا يحلم في موضع الحلم، ويشتد في موضع الشدة، إلا أن الحلم كان أغلب عليه".[2]

ولو سلك معاوية بالناس غير سبيل الاحتمال والمداراة؛ لاختُطف اختطافًا كما يقول الحسن البصري رحمه الله، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" وفضائل معاوية في حُسن السيرة والعدل والإحسان كثيرة "[3]

وقد بلغ الحلم بمعاوية أن دخل عليه ابنه يزيد مغضبا وقال: « يا أَبتِ لقد أفرطت في الحلم حتى خفت أن يعدّ ذلك منك ضعفا وجبنا» فقال معاوية: «أي بنيّ: إنه لا يكون مع الحلم ندامة ولا مذمّة، فامض لشأنك، ودعني ورأيي».[1]

---

[1]- إبراهيم اليحيى: مرجع سابق، 148.

[2]- محمد بن علي بن محمد بن طباطبا ،الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ،دار صادر بيروت ،د/ط،د/ت،ص104.

[3]- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ،مناهج السنة النبوية ،تحق :الدكتور محمد رشاد سالم ،دار الحديث ،الطبعة الأولى، 2006،ج 4-،ص487.

تفوق معاوية في صياغة الخطاب وفق مقتضيات الموقف الخاص في المراحل الانتقالية الحساسة مثل فترة الصراع مع الإمام علي رضيّ الله عنه، كما استخدم الخطاب لترسيخ شرعية الدولة الأموية عبر التأكيد على وحد الأمة والربط بين طاعته والاستقرار وهذا لم يأتي هكذا بل بفصاحته وقوة لسانه .

وبرز هذا الخطاب السياسي عبر التدرج المنطقي للكلام الذي كان يخطبه للناس واشتهر بقوله "لوكانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ..."مبيناً فلسفته في المرونة السياسية .

كان من أبرز التغيرات على الصعيد السياسي في عهد معاوية بن أبي سفيان، أنه نقل عاصمة الدولة من الكوفة إلى دمشق، بعد أن كان علي قد نقلها من المدينة إلى الكوفة.

وقد آثار هذا الإجراء سخط بعض أهل العراق والحجاز، كما شهدت الدولة في عهده فترة من الاستقرار والرخاء، ومتابعة الفتوحات بعد توقف طويل.

وألغي في عهده نظام مجلس الشورى (النظام الإسلامي السياسي) القديم رغم أنه ظل يستشير أصحابه ومن حوله دائما في أغلب أفعاله، وأنشأ نظاما للشرطة لحمايته وحراسته أشرف عليه بنفسه، وطور ديوان البريد وأنشأ ديوانا جديدا لتنظيمه هو ديوان الخاتم.

وكان معاوية قد جعل أهل الشام والمدينة يبايعون ابنه يزيد منذ سنة (50هـ) وأصبح يزيد وليا للعهد، وبما أنه كان بعيدا عن دمشق عند وفاة والده فقد أخذ البيعة له الضحاك بن قيس، وعندما عاد بدأت الوفود بالقدوم لتعزيته بوفاة أبية وتهنئته بالخلافة[2].

أظهر خطباء العصر الأموي براعة استثنائية وتميزًا في مختلف مجالات الأدب، وذلك بفعل الظروف السياسية والاجتماعية والدينية التي طبعت هذا العصر. وقد برز في هذه الفترة خطباء يمتازون باللسان البليغ والفصاحة اللافتة، تنوعت خطبهم وتباينت أهدافها باختلاف سياقاتها وأسبابها.

"كما اختلفت أساليب الخطابة باختلاف الرسائل التي أرادوا إيصالها، أما الطرق المستخدمة في الإلقاء، فقد كانت تتفاوت بين الخطباء، مما أعطى كل منهم بصمته الخاصة في فن الخطابة، ومن أبرز الخطب التي وصلتنا من هذا العصر هي تلك التي ألقاها الخليفة معاوية بن أبي سفيان عند اقتراب وفاته.

---

[1]-ابن عبد ربه : العقد الفريد ،الجزء الأول ،مرجع سابق ،ص131.

[2]- إبراهيم اليحيى: ، مرجع سابق، ص 149.[1]

عكست خطب معاوية بشكل واضح الأوضاع السياسية التي شابت فترة حكم الأمويين، حيث تميزت هذه المرحلة بانتقال الحكم من نظام يقوم على الشورى كأحد المبادئ السياسية الإسلامية الأساسية، إلى نظام سلطوي يقوم على التوريث.

وقد عمل الأمويون على التأثير في العقول والآراء العامة لتقبل هذا التحول، وهو ما تحقق عندما تولى يزيد بن معاوية الخلافة فور وفاة والده، ومع ذلك، اتسم الأسلوب الخطابي ليزيد بسمات مغايرة عن تلك التي عرفت بخطب والده، ما يعطي مؤشراً على التغير في الأساليب الخطابية مع تغير القيادات الحاكمة"[1].

المبحث الثاني: دراسة تحليلية لخطبه

❖ نماذج مختارة من خطبه

1) خطبة معاوية بن أبي سفيان (ت 60هـ) في المدينة

[1]- إبراهيم اليحيى: مرجع سابق،ص149،(بتصرف)

والباعث وراء اختيار هذه الخطبة دون سواها؛ لتمثيلها بداية الدولة الأموية بقيادة "معاوية بن أبي سفيان" القائمة على مبدأ الجبر، وبالتالي نلاحظ أن معاوية قد ركز فيها على أسس حكمه للرعية، وأظهر فيها سياسته، وبما أن "معاوية" قد وصل إلى الحكم بعد قتال عنيف بينه وبين جيش "علي بن أبي طالب" رضى الله عنه في موقعة صفين، وما نجم عنها من قصة التحكيم وافتراق الأمة، إلى أن تدارك "الحسن" قوة جيش "معاوية" وعدم سهولة إخضاعه دون إراقة دماء كثيرة من المسلمين، تم التوافق بينهما على الصلح مقابل تنازل "الحسن" عن الخلافة "لمعاوية"؛ حقنا الدماء المسلمين، وسمي هذا العام بعام الجماعة الإجماع الأمة على خلافة معاوية[1].

هذه الخطبة ألقاها "معاوية" في المدينة المنورة عام الجماعة (41هـ)، وهو العام الذي عقد فيه الصلح بين "معاوية" و"الحسن بن علي بن أبي طالب"، وهذا المكان يُشكل رمزية دينية مهمة لشرعية "معاوية"، فهو مدينة الرسول – صلى الله عليه وسلّم – وبه مسجده، ومنه سيوجه معاوية رسائله السياسية (لأهل الحجاز) الذين لم يُجمعوا على خلافته .

أما الطرف المحرك للخطبة فيتمثل في قدوم رجال من وجوه قريش على "معاوية" مهنئين، ومنهم: "عبد الله بن العباس"، و"عبد الله بن الزبير"، و"عبد الله بن جعفر الطيار"، و"عبد الله بن عمر" ... وهؤلاء أصحاب التجارة والفصاحة، تميزوا بخدمة الكعبة، وهو يعرف معارضتهم للبيعة، لأن لديهم طموح سياسي يتعارض مع مشروع "معاوية"، وفي هذا يقول شوقي ضيف: "كان هذا الحزب حزب عبد الله بن الزبير – يدعو إلى عودة الخلافة إلى الحجاز وأن يتولاها أحد كبار الصحابة من قريش لا هؤلاء الأمويون الذين حولوا الخلافة إلى دمشق، وأخذوا يحكمون الناس مستندين إلى القبائل الشامية".

قال القَحْذَمي: "لما قَدِمَ مُعاوية المدينة عام الجماعة تلقاه رجال قريش، فقالوا: الحمد لله الذي أعز نصرك، وأعلى كعبك، قال: فوالله ما رد عليهم شيئا حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أما بعد فإني والله ما وليتها بمحبة علمتُها منكم ولا مسرَّة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مُجَالدة، ولقد رُضتُ لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عُمر، فنفّرت من ذلك نفارًا شديدًا؛ وأردتها على مثل ثنيات عثمان، فأبت عليّ؛ فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلةٌ حسنة، ومشاربة

[1]– عزيزة سعيد مصطفى مصيطف: المسكوت عنه في الخطابة في العصر الاموي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2023، ص 16.

جميلة؛ فإن لم تجدوني خيركم فإنّي خير لكم ولايةً؛ والله لا أحمل السَّيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائلُ بلسانه، فقد جعلت ذلك له دَبرَ أذني وتحت قدمي؛ وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كُلَّه فاقبلوا مني بعضه، فإن أتاكم منّي خيرٌ فاقبلوه، فإن السيل إذا زادَ عَنّى، وَإِذَا قلّ أغنى؛ وإياكم والفتنةَ، فإنها تفسد المعيشة، وتكدّر النّعمة، ثم نزل"[1].

2) خطبة الخليفة معاوية بن أبي سفيان عندما حضرته الوفاة

"أيها الناس إن من زرع استحصد، وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد بعدي خيرا مني، وإنما يليكم من هو شر مني كما كان من وليكم قبلي خيرا مني، و يا يزيد، إذا دنا أجلي فول غُسلي رجلا لبيبًا؛ فإن اللبيب من الله بمكان، فليُنعم الغسل، وليجهر بالتكبير، ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره وأظفاره، فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني واجعل هذا الثوب مما يلي جلدي دون أكفاني، ويا يزيد، احفظ وصية الله في الوالدين، فإذا أدرجتموني في جريدتي ووضعتموني في حفرتي، فخلُّوا معاوية وأرحم الراحمين"[2].

❖ تحليل الأسلوب والمضمون في خطبه

1) تحليل الأسلوب والمضمون لخطبة معاوية بن أبي سفيان (ت 60هـ) في المدينة

[1]- عزيزة سعيد مصطفى: ، المرجع السابق، ص 16-17.

[2]- ابن كثير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ،المكتبة الشاملة ، ج11،دار هجر للطباعة والنشر، د/ب، 747 هـ، ص 454.

"استهل "معاوية" خطبته بعد صعوده المنبر بحمد الله والثناء عليه، وكان حريصا منذ البداية على وضع النقاط على الحروف؛ لذا جاء خطابه مشفوعا بالقسم، مشيرًا إلى شجاعته وبسالته في المعارك، موجها لضيوفه الوافدين إليه مهنئين بخلافته، رسائلا تحمل الوعيد والإنذار والبطش إذا حاولوا الخروج عليه.

وحرص "معاوية" منذ بداية خطابه على إظهار منهجه في الحكم الذي اتسم بالقوة والحدة تارة وتارة أخرى باللين، وبدا "معاوية" في خطابه غير مكترث لخصومه ومعارضيه السياسيين ومن يرون منهجا مختلفا عن منهج حكمه.

فما كانت عليه الأمة من خلاف عظيم بعد مقتل "عثمان بن عفان" – رضي الله عنه – حول ولاية أمر المسلمين والثأر من قاتل عثمان وأيهما الأهم، ذهب فريق إلى ضرورة الثأر فورا من قاتل "عثمان" ومنهم "عائشة أم المؤمنين" – رضي الله عنها، وتبعها "معاوية"، و"طلحة" و"الزبير"، وفريق قدم أمر ولاية المسلمين على الثأر، وهذا موقف الخليفة الرابع "علي بن أبي طالب" ومن تبعوه، واشتدت الفتنة بين الفريقين وانتهت إلى التحكيم، وبعد مقتل "علي" وتسلم ابنه "الحسن" الخلافة واختلاف الأمة على خلافته التي لم تستمر طويلا وانتهت بتنازل "الحسن بن علي" عن الخلافة "لمعاوية" حقنا لدماء المسلمين، ونتج عن ذلك انقسام المسلمين إلى طوائف ثلاث: الخوارج، والشيعة، وأهل السنة والجماعة"[1].

استفتح خطبته بالقسم "فإني والله"؛ ليُغلق عليهم كل أبواب المواجهة والشك في قدرته وقوته، وكأنّه يُجيب بقسمه هذا على كل من يطعن بخلافته، فقد بين لهم أنه لم يصل للخلافة بفضل منهم وإنما بقوة السلاح، واستخدم أسلوب النفي في غير موقع: "فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي... فإن لم تجدوني ... والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه ... وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه" وهذا النفي أفاد استبعاد أي فضل لرجالات قريش عليه وعلى خلافته، فقد انتزع الخلافة بالقوة وهو جدير بها وهي تليق به، والنفي في اللغة العربية يفيد معنى السلب، وأدوات النفي البسيطة (ما، لم، لن، ليس)، أو مركبة مع (إلا)، أو بأسماء شبه نافية (أبدا، أحد، قط).

[1]- شاكر علي ،الخطاب السياسي في العصر الاموي (دراسة تحليلية)،دار الرافدين ،بيروت ،لبنان ،2012،ص76،(بتصرف).

وفي الخطاب الحجاجي يتجاوز النفي وظائفه النحوية الصرفية ليصبح إنكارا : "يتعقب قولا سبق ادعاؤه أو إثباته، فهو دائما فعل ارتجاعي أوثق بالرد، وهذه الآلية تسهم في كشف المغالطة والتوهم ومنازعة الخصم أطروحته أو فتح ثغرات في البناء الإقناعي الذي يستند إليه؛ لمراجعة الخصم في دعواه".

وفي هذا رسالة قاطعة من معاوية أن السيف سيكون ردًّا حاسمًا لكل من يُخالف أوامره، ولن تأخذه بهم رأفة، ويبدو أن معاوية استبق الأمر وخاطب رجالات قريش بما يليق بالمقام (لكل مقام مقال)، فالمقام يحتاج إلى إظهار الحسم والقوة، في هذه الخطبة، ومما يُسهم في الكشف عن النسق السياسي.

ولجأ معاوية إلى أسلوب التأكيد بـ (أن والقسم)، وكأنه يعلم إنكار القوم لخلافته فهو يعلم خوافي نفوسهم وما تخفيه من الضغينة والحقد؛ ولأجل ذلك بين لهم أنه لم يصل إليها إلا بقوة السلاح، فلولا شجاعته وقدرته على الحسم لم يصل إليها، فقد وصل إلى الحكم وهذا أمر واقع وعلى الجميع تقبله، فمن أراد حلف معاوية فمرحبا به، ومن لم يرد هذا الخليفة ولم يُعجبه فالسيف سيكون رادعا له، وخطابه يقوم على تعزيز النسق القائم على المفاخرة، وتضخيم الذات، وفي المقابل سلب الآخر أي مزية أو فضيلة، والخطاب من أعلى يقوم على ازدراء الآخر ويفرض على ما دونه الاحترام، وهذه سمة الخطابة الجاهلية التي امتدت إلى العصرين الأموي والعباسي[1].

2) تحليل الأسلوب والمضمون لخطبة الخليفة معاوية بن أبي سفيان عندما حضرته الوفاة

نرى من هذه الخطبة أن معاوية بن أبي سفيان بدأها بالنصيحة، ولذلك اعتبرها البعض من الرسائل؛ لأنها كانت مدونة وهي من زرع حصد، وهنا وجه خطبته بكاملها للمستمعين له، كما وجهها لابنه يزيد،

[1]- شاكر علي ،الخطاب السياسي في العصر الاموي ،المرجع السابق ،ص77،(بتصرف).

ولم يتحدث عن نفسه إلا بعد موته، فهو هنا ينصف الظرف الذي يقع فيه والحالة التي انتابته، وهو الموت ولقاء رب العالمين، ذلك الوقت الذي لن يكون فيه والياً، بل منصاعاً مطيعا لأمر الله تعالى راضخًا لحكمه، ودليل ذلك ما قاله في نهاية الخطبة عندما وجههم إلى تركه بعد موته، والالتفات إلى أمورهم.

ولم تخل الخطبة من السجع، ك "جريدتي" و "حفرتي"، وكثر فيها تكرار بعض الكلمات ك "مني"، ويتبين من خطب معاوية أن التبليغ بمعنى الخطبة وكلماتها وما ترمي إليه هو للمستمعين.

ويعد معاوية رمزا للدهاء والسياسة، وكانت العرب تضرب به المثل في ذلك ولعل أشهرها مصطلح "شعرة معاوية"، وهو كناية عن حسن السياسة أو الدبلوماسية في المصطلحات الحديثة، ويظهر ذلك جليا في الخطبة المشهورة عنه، والتي قال فيها: "إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت كانوا إذا مدّوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها"[1]، هذه البلاغة والحكمة تجعلنا نعجب ببراعة معاوية الذي كان مثالا لحاكم يدرك ويعرف مداخل ومخارج رعيته.

كما تميز أسلوب معاوية بن أبي سفيان في خطبه بالوعيد المتكرر، وضرب الأمثال للتحذير والتخويف، حيث خطب في أهل المدينة قائلا: "يا أهل المدينة، إني لست أحب أن تكونوا خلقا كخلق العراق؛ يعيبون الشيء وهم فيه، كل امرئ منهم شيعة نفسه، فاقبلونا بما فينا فإن ما وراءنا شرٌّ لكم"، حيث ضرب في هذه الخطبة أهل العراق مثلا لأهل المدينة وقصد تحذير أهل المدينة من أن يكونوا كأهل العراق، ودليل ذلك في تكملة الخطبة عندما هدد بشكل ضمني إن ما وراءنا شر لكم.

المبحث الثالث : الظواهر الأسلوبية في خطبتي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

الظواهر الأسلوبية في خطبتي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

نص الخطبتين:

[1]– ابن عبد ربه أبو عمرو أحمد بن محمد الأندلسي: العقد الفريد، تحق: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهر، 1940، ص 125.

الخطبة الأولى: خطبة أهل المدينة

قَال القحذمي لَمَّا قَدَّم مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَة عَامّ الْجَمَاعَة تَلْقَاهُ رُجَّال قُرَيْش فَقَالُوا الْحَمْد لله الَّذِي أَعَزّ نَصْرك وَأَعْلَى كَعْبك قَال فو الله مَا رَدّ عَلَيْهُمْ شَيْئا حَتَّى صَعِد الْمِنْبَر فَحَمِد الله وَأَثْنَى عَلَيْهُ ثُمَّ قَال فَإِنِّي وَالله مَا وَلَيْتَهَا بِمَحَبَّة عِلْمَتهَا مِنْكُمْ وَلَا مَسَرَّة بولايتي وَلِكَنِّيَّ جَالِدَتكُمْ بِسَيْفِيّ هَذَا مُجَالِدَةٍ وَلَ◌َقَدّ رَضَّت لَكُمْ نَفْسِيٌّ عَلَى عَمَل اِبْن أَبِي قَحَّافَة وَارِدَتهَا عَلَى عَمِل عُمَر فَنَفَّرَت مِنْ ذَلِك نِفَارَا شَدِيدَا وَأَرَدْتهَا عَلَى ثَنِيَّات عُثْمَانٍ فَأَبِت عَلِيّ فَسَلَكَت بِهَا طَرِيقًا لِي وَلَكُمْ فِيهُ مَنْفَعَة مؤاكلة حُسْنَة وَمَشَارِبَة جَمِيلَة فَإِنْ لَمْ تَجِدُونِي خَيْرُكُمْ فَإِنِّي خَيْر لَكُمْ وَلَاَيَة وَالله لَا أَحْمِل السَّيْف عَلَى مِنْ لَا سَيْف لَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُن مِنْكُمْ إِلَّا مَا يستشفى بِهِ الْقَائِل بِلِسَانه فَقَدْ جَعَلَت ذَلِك لَهُ دَبَر أُذْنِي وَتَحْتَ قَدَمِيّ وَإِنْ لَمْ تَجِدُونِي أَقُوم بِحَقّكُمْ كُلَّهُ فَاِقْبَلُوا مَنِّيَّ بَعْضُهُ فَإِنْ أَتَاكُمْ مَنِّيٌّ خَيْر فَاِقْبَلُوهُ فَإِنَّ السَّيْلَ إِذَا جَاء ينزى وَإِنَّ قُلّ أَغِنَى وَإِيَّاكُمْ وَالْفِتْنَة فَإِنَّهَا تُفْسِد الْمَعِيشَة وَتَكَدُّر النَّعَمَة وَتُورِثُ الِاسْتِئْصَالَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَ وَلَكُمْ. ثُمَّ نَزَلَ"

صَعِد مُعَاوِيَةُ مِنْبَر الْمَدِينَة فَحَمِد الله وَأَثْنَى عَلَيْهُ ثُمَّ قَال يَا أَهْل الْمَدِينَة إِنِّي لَسْتَ أَحُبّ أَنْ تُكَوِّنُوا خَلْقا كَخَلْق الْعِرَاق يَعِيبُون الشَّيْء وَهُمْ فِيهُ كُلُّ امرئ مِنْهُمْ شِيعَةً نَفْسُهُ فَاِقْبَلُونَا بِمَا فِينَا فَإِنَّ مَا وَرَاءنَا شَرّ لَكُمْ وَإِنَّ مَعْرُوف زَمَانَنَا هَذَا مُنْكِر زَمَان قَدْ مَضَى وَمُنْكِر زَمَانَنَا مَعْرُوف زَمَان لَمْ يَأْت وَلَوْ قَدْ أَتَى فَاِرْتَق خَيْر مِنَ الْفَتْق وَفِي كُلُّ بَلَا غ وَلَا مَقَام عَلَى الرُّزِّيَّة"[1].

الخطبة الثانية: خطبته عند وفاته

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ السَّهْمِيِّ، حَدَّثَنِي ثُمَامَةُ بْنُ كُلْثُومٍ، أَنَّ آخِرَ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ أَنْ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي مِنْ زَرْعٍ قَدِ اسْتَحْصَدَ، وَإِنِّي قَدْ وَلِيتُكُمْ، وَلَنْ يَلِيَكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي إِلَّا مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي، كَمَا كَانَ مَنْ وَلِيَكُمْ قَبْلِي خَيْرًا مِنِّي، وَيَا يَزِيدُ، إِذَا وَفَى أَجَلِي فَوَلِّ غُسْلِي

[1]-ابن كثير: البداية والنهاية ، المرجع السابق ،ص432.

رَجُلًا لَبِيبًا; فَإِنَّ اللَّبِيبَ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ، فَلْيُنْعِمِ الْغُسْلَ وَلْيَجْهَرْ بِالتَّكْبِيرِ، ثُمَّ اعْمِدْ إِلَى مَنْدِيلٍ فِي الْخِزَانَةِ فِيهِ ثَوْبٌ مِنْ ثِيَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلم، وَقُرَاضَةٌ مِنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ، فَاسْتَوْدِعِ الْقُرَاضَةَ أَنْفِي وَفَمِي وَأُذُنَيَّ وَعَيْنَيَّ، وَاجْعَلِ الثَّوْبَ يَلِي جِلْدِي دُونَ أَكْفَانِي، وَيَا يَزِيدُ، احْفَظْ وَصِيَّةَ اللَّهِ فِي الْوَالِدَيْنِ، فَإِذَا أَدْرَجْتُمُونِي فِي جَرِيدَتِي، وَوَضَعْتُمُونِي فِي حُفْرَتِي فَحَلُّوا مُعَاوِيَةَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ[1] وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمَّا احْتُضِرَ مُعَاوِيَةُ جَعَلَ يَقُولُ:

لَعَمْرِي لَقَدْ عُمِّرْتُ فِي الدَّهْرِ بُرْهَةً ... وَدَانَتْ لِيَ الدُّنْيَا بِوَقْعِ الْبَوَاتِرِ

وَأُعْطِيتُ حُمْرَ الْمَالِ وَالْحُكْمَ وَالنُّهَى ... وَسِلْمَ قَمَاقِيمِ الْمُلُوكِ الْجَبَابِرِ

فَأَضْحَى الَّذِي قَدْ كَانَ مِمَّا يَسُرُّنِي ... كَحُلْمٍ مَضَى فِي الْمُزْمِنَاتِ الْغَوَابِرِ

فَيَا لَيْتَنِي لَمْ أُعْنَ فِي الْمُلْكِ سَاعَةً ... وَلَمْ أُعْنَ فِي لَذَّاتِ عَيْشٍ نَوَاضِرِ

وَكُنْتُ كَذِي طِمْرَيْنِ عَاشَ بِبُلْغَةٍ ... مِنَ الْعَيْشِ حَتَّى زَارَ ضِيقَ الْمَقَابِرِ"[2]

بناءً على ما جاء في خطبة معاوية في أهل المدينة يمكن تقسيم الخطبة إلى مقدمة وعرض وخاتمة يلجأ معاوية رضيّ الله عنه إلى بعض الظواهر الأسلوبية التي تزيد النص حلاوة وطلاوة بجانب دلالته ومن هذا ما جاء في خطبة أهل المدينة في مقدمتها افتتاح الخطيب بالقسم "فإني والله " يعزز الصدق والتوكيد مع بداية الخطبة والنفي في "ما و "لا" يمنح الخطاب قوة وانكاراً للمقاصد الدنيوية فهو لا يريد من السطلة إلا المنفعة العامة وليس التباهي بها ،واستخدام "محبة" و"مسرة " في بداية الخطبة في مقدمتها يعطي الخطاب طابعا عاطفيا تجريدياً يخاطب القلوب ويثلج صدورهم.

في هذا الكلام تبرئة للنفس من طلب السلطة حباً أو انتصارًا للذات ،وفيها تمهيدا نفسياً وبلاغياً للناس حتى يتقبلوا حكمه ،حتى وإن لم يكن محبوباً عندهم ،فهو يحمل نبرة التحفظ والحكمة إذْ يبعد عن نفسه التهمة ويقدم صورة الشخص المتحمل للمسؤولية.

" فاللغة في مقدمة الخطبة جاءت بتمهيد عاطفي واستمالة قوية استخدم معاوية أسلوب الاعتراف والتفضيل لإظهار تواضعه في قوله: "ولقد رضيت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة وعمر ...فنفرت من

[1]- ابن كثير: البداية والنهاية ، المرجع السابق ،ص454

[2]-المرجع نفسه ،ص 454.

ذلك نفارًا شديداً "، واستخدم أسلوب النداء في قوله :"يا أهل المدينة ،إني لست أحب ان تكونوا .." فيه نبرة هادئة للتقليل من حدة الصراع، فقد حاول معاوية في بداية الخطبة كسب تعاطف الجمهور بادعاء أنه اختار طريقا وسطاً لصالحهم بين تشدد عمر وليونة عثمان في قوله :"فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة"[1]

أما عن موضوع الخطبة أو العرض فحمل معه الحجج القوية والبراهين التي فيها الترغيب والترهيب في قوله" والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك له دبر أذني وتحت قدمي" ،استعمل فيه ألوب التهديد المبطن فذكرهم بقوته العسكرية لكن بصيغة القسم أي أنه لاستخدم السيف إلا إذا اضطررت لذلك ،وبرز ذلك بقوة في قوله :"إن ما وراءنا شر لكم " [2].

واستعمل معاوية الترغيب بالمصلحة فقدم نفسه كحامٍ من الفوضى قوله "وإياكم والفتنة فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة، كما تبين استخدام المفارقة التاريخية فاستخدم التضاد بين الماضي والحاضر لإثبات شرعية حكمه في قوله: "معروف زمانا هذا منكر زمان قد مضى..."

" أما في خاتمة خطبته فجاء فيها التحذير والتذكير بالسلطة فقد قارن بين أهل المدينة سلبياً بأهل العراق الين وصفهم بالفرقة في قوله :" إني لست أحب أن تكونوا خلقاً كخلق العراق يعيبون الشيء وهم فيه، كل امرئ منهم شيعة نفسه" ،فهو بذلك يذكرهم بالعواقب ،واختتم هذه الخطبة بتهديد غير مباشر في قوله " قد أتى فارتق خير من الفتق. وفي كل بلاغ. ولا مقام على الرزية".[3]

الاستراتيجية الخطابية التي استعملها معاوية في خطبه مزج بين الترغيب" منفعة مؤاكلة " والترهيب "لا أحمل السيف على من لا سيف له " وفي قوله :" فاقبلونا بما فينا فإن ما وراءنا شرّ لكم "،فيه ترهيب بلغة مباشرة، كما أنه عبر بالتلاعب بالذاكرة الجماعية بتعبير مبطن عبر مقارنته بالخلفاء في قوله :" وأردتها على ثنيات عثمان فأبت عليّ. فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعة مؤاكلة حسنة ومشاربة جميلة".

❖ تحليل المستويات الصوتية والتركيبة والبلاغية في خطب معاوية بن أبي سفيان رضيّ الله عنه

[1]- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،المرجع السابق، ص91.(بتصرف).

[2]- أبو جعفر بن محمد بن جرير بن غالب الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعارف،ط2،ج5،1967،ص158.

[3]- الجاحظ، البيان والتبين ،ج1،المرجع السابق 316.

❖ أولاً : الظواهر الإيقاعية والتنغيمية في خطبة معاوية

علم الأصوات علم يبحث في الأصوات اللغوية من حيث مخارجها، وصفاتها، وكيفية صدورها وللصوت مكانة كبيرة في الدرس اللغوي، فالأصوات اللغوية هي اللبنات الي تتكون منها الألفاظ، ومن تجمعات الألفاظ تتكون التراكيب والعبارات، وعلم الأصوات هو حجر الأساس لكل دراسة أسلوبية، ولقد استفاد علم المعاني من الوقوف على المقاطع الصوتية والصور التنغيمية، واستفاد علما البيان والنقد الأدبي من الدراسة الصوتية في تناولهما للتلاؤم والتنافر، ولا يمكنا أندرس اللهجات العربية القديمة والحديثة دراسة وصفية أو تاريخية أو مقارنة من دون الدراسة الصوتية، ولا ننسى أن علم العروض يضرب بجذوره في علم الأصوات اللغوية من يوم أن غرسه الخليل بن أحمد، وتعهده العلماء من بعده.[1]

وقد عني اللغويون العرب قديماً بالنظر في الأصوات اللغوية، فرمزوا لأصوات اللغة بعلامات منظورة، وإذا ما رصدنا ما قام به العرب من ملاحظات نجد أنها نتائج المحاولات التي قاموا بها لتحديد معالم الكتابة وتهذيبها على يد أبي الأسود الدؤلي، والذي قام بوضع نقط تمثل الحركات القصيرة والتنوين قبل وضع النحو العربي، وما تلا ذلك من محاولات لوضع علاقات لخصائص صوتية.

إلى أن كشف النقاب عن تصنيف الخليل بن أحمد لأصوات العربية على حسب مواضع النطق المخارج« في كتاب » العين، ثم كان سيبويه تلميذ الخليل، وحامل علمه فهذب هذا التصنيف، وأضاف كثيراً من الخصائص الصوتية.[2]

والمحدثون من علماء الأصوات قد برهنوا بتجاربهم على أن هذه الأصوات الأربعة تُكون مجموعة خاصة لا هي بالشديدة ولا هي الرخوة وسموها بالأصوات المائعة ،أما تسميتها بالأصوات المتوسطة تعني أنها تخالف النوعين ،أي أنها ليست بالشديدة ولا الرخوة والأصوات الرخوة في اللغة العربية كما برهن عليه التجارب الحديثة هي مرتبة حسب نسبة رخاوتها وهي :

س، ز، ص، ش، ذ، ث، ظ، ف، هـ، ج، خ، ع.[3]

---

[1]- إبراهيم محمد سكين :علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات ،دار الزهراء للطباعة ،الزقازيق ،مصر 2004م،ص 8

[2]- إبراهيم محمد ،المرجع السابق ،ص8

[3]-المرجع نفسه ،ص18

ومن الظواهر الصوتية التي نتتبعها في هذه الدراسة النبر فمع أن علماء اللغة العربية القدامى اهتموا بالأصوات المفردة أو البسيطة، وأظهروا فيها مهارة فائقة بحيث سبقوا الأوربيين بعدة قرون إلا أنهم لم ينتبهوا إلى الوحدات فوق الجزئية للأصوات العربية والتي يدخل النبر من ضمنها .

والنبر هو: "قوة التلفظ وعلو الصوت ووضوحه؛ نتيجة نشاط جميع أعضاء النطق في وقت واحد

وقواعد النبر في اللغة العربية الفصحى[1]" هي:

يقع النبر على المقطع الأخير من الكلمة إذا كان طويلاً كما في كلمتي "نستعين ، الرحيم"

إذا لم يكن المقطع الأخير طويلاً، فإن النبر يقع على ما قبل المقطع الأخير، إذا كان طويلاً مثل : تحابت أو مثل أبوك فإن النبر يقع على المقطع الثالث من آخر الكلمة ما لم يكن الثالث مقطعاً مقيداً مسبوقاً بقصير آخر، أو المقطع الأول إذا كانت الكلمة تتألف من ثلاثة مقاطع أو أقل مثل : كتب – فهم– قال. ، ويقع النبر على المقطع الرابع من آخر الكلمة إذا لم يكن آخر مقطع طويلاً، وكانت المقاطع الثلاثة التي تسبقه قصيرة مثل: ورقة – ثمرة – شجرة، وقد تعتري الكلمة بعض الأحوال التي تحتم عليها تغيير موضع النبر

وقد يختلف الغرض من الجملة تبعاً لاختلاف الكلمة المختصة بزيادة نبرها وهذا النوع من النبر كثير الاستعمال في جميع اللغات، فكل لغة من اللغات لا تخلو من تأكيد أو رغبة أو إشارة إلى شيء ما، فعلى سبيل المثال في الجملة هل سافر أخوك؟ يختلف معناها باختلاف الكلمة التي زيد في نبرها .

بنية النبر في خطبتي معاوية :

جاء النبر في الخطبتين لإبراز المعاني الرئيسية في الجمل، وتوضيحها للمتلقي فالنبر القوي من الجملة ؛ أي هي الكلمات الأكثر وضوحاً في الأداء، مثل:" إني قد وليتكم ولن يليكم أحد بعدي إلا هو شرّ مني، فان أتاكم مني خير فاقبلوه، فإن السيل إذا جاء ينزي وأن قل أغنى". فالنبر جاء بتنغيم عاطفي والنبر جاء في الخطاب للتعبير عن حالة انفعالية سيطرت على المرسل أثناء الأداء في قوله "وإياكم والفتنة فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة "نبرة عالية على "إياكم " و "الفتنة "للتأكيد على الخطر ،وجاء بنبرة منخفضة في الإقناع في قوله "فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعةٌ "خفض الصوت عند "لي "و"لكم "لخلق جوٍّ من

[1]-نفسه ،ص35.

الثقة، كما جاء لأداء أغراض وظيفية في دلالة الكلمات والجمل، ليسمع أوقع من باقي المقاطع، فالنبر يقع في الجملة في الموضع الذي تؤدى به دلالة معينة يقصدها المتكلم، فالأمر متوقف على الظرف اللغوي الذي وردت فيه، وقد صاحب النبر هنا عدداً من الظواهر الصوتية الأخرى دعَمت وظيفته مثل قوله في الخطبة الثانية :" إذا وفى أجلي فولّ غسلي رجلا لبيبا" حيث تقع في قمة النمط التنغيمي إذا الشرطية الجازمة فترتفع درجة الصوت ثم تنخفض قليلاً، لتصل إلى المستوى المتوسط لاستمرار الكلام، وهذا يعني أن النمط التنغيمي لأداء الجملة أعطى للمتلقي افتتاحية خطاب مثيرة ولافتة.

جاء النبر في خطبة أهل المدينة ارتفاع للصوت بنبرة التهديد في قوله: "وإياكم والفتنة "أما في خطبة وفاته فجاءت النبرة ضعيفة متقطعة في كلمة "أوصيكم "

الإيقاع : وهو التناسب الصوتي في الخطاب وكذلك التناسب والتناظر بين الأصوات الصامتة والصائتة، والمقاطع الطويلة والقصيرة، كما يظهر من خلال السجع والازدواج في العبارات والجمل، و يستخدم مصطلح الإيقاع أساساً في الموسيقى، باعتباره تنظيماً للشق الزمني منها، غير أن ظاهرة الإيقاع ظاهرة شائعة في مختلف الفنون، وليس فقط في الموسيقى، سواء كانت فنوناً سمعية أو بصرية، بل يمكن القول إنه "بمعناه العام" تنظيم للعناصر[1] .

وقد التزم معاوية بنمط إيقاعي واحد والسمة العامة لتلك الجمل التي أتت على إيقاع واحد أنها تكاد تتساوى في الشكل والطول والنهايات، بل وتشترك في مفردات متساوية.

وقد زاوج بين كثير من جمل الخطاب ؛ ليجعل هناك إيقاعاً من خلال تقسيمه الكلام، ومساواته لطول الجمل مع الاحتفاظ بالنهايات الموحدة ليخلق جواً موسيقياً مؤثراً في مشاعر المتلقي.

واستعمل معاوية إيقاع منتظم بسجع غير تام في كلمة "مؤاكلة حسنة "ومشاربة جميلة " يقابله ذلك في الخطبة الثانية إيقاع مفكك " وَوَضَعْتُمُونِي فِي حُفْرَتِي... إِذَا وَفَى أَجَلِي "

استخدم معاوية بعض العناصر الإيقاعية في الخطبتين، ومنها : التقسيم مثل قوله : مؤاكلة حسنة، ومشاربة جميلة ، وقوله : إن لم تجدوني أقوم بحقكم كله، فاقبلوا مني بعضه. ونجد: التكرار في قوله: ما وليتها، بولايتي، جالدتكم، مجالدة، لا أحمل السيف على من لا سيف له، وقوله: فإن لم تجدوني، وإن لم تجدوني، فقد استخدم المتكلم التقسيم والتكرار لتحقيق إيقاع ثابت في بنية خطابه . ونجد

[1]- سيد البحراوي : الإيقاع في شعر السياب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، سنة2011، ص13.(بتصرف).

أيضاً أن هناك استقراراً نسبياً في العناصر الصوتية المكونة لبنية الخطاب، ولم يفرط المتكلم في استخدام تلك العناصر، ويرجع ذلك إلى حالة الاستقرار النفسي التي انعكست على الخطاب حيث نجد المتكلم يستخدم نبر الجملة في نطاق ضيق، ويستخدم التنغيم في تجسيد المواقف وتصويرها، يستخدم الطبقة الصوتية المتوسطة كثيراً

ومن الإيقاع أيضاً في هاتين الخطبتين : حيث حسن التقسيم أو الازدواج عطف الجمل وتواليها منسقة، هذا يعد من أساليب البناء اللغوي الصوتي عند معاوية، ويأتي هذا العطف عن طريق استخدام الواو كثيراً، وهي التي تعمل على توالي الجمل، ويرجع سبب كثرة الواو العطفية إلى العفوية وغزارة المعنى والانفعال بالموقف، ومن أمثلته: فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعينيّ.... فاقبلونا بما فينا فإن ما وراءنا شر لكم، وإن معروف زماننا هذا منكر زمان قد مضى، ونكر زماننا معروف زمان لم يأت...إلخ

التكرار في خطبتي معاوية بن أبي سفيان

لقد أصبح مقياس معدلات التكرار في نص ما من أهم خصائص الدراسة الأسلوبية، وفي العربية نجد الظاهرة قديمة قدم اللغة العربية نفسها، استعملها العرب في أقدم النصوص الواردة عنهم، فالتكرار واحد من الظواهر اللغوية التي نجدها في الألفاظ والتراكيب والمعاني لتحقيق البلاغة في التعبير، والتأكيد للكلام، والدلالة على العناية بالشيء الذي يكرر فيه الكلام واللغة العربية تقبل تكرار الحرف واللفظ والجملة.

ومع ذلك لا يكون إلا لأغراض محددة يستدعيها سياق الكلام، فليس التكرار عياً ولا عيباً، بل له مواضعه التي لا يحسن الكلام إلا بها، فأنماط الجمل في الإعراب والاشتقاق قد تتكرر، ولكنها تظل كذلك أشكالاً تعبيرية، والنمط المكرر، له قيمته التعبيرية الخاصة به التي لا توجد في النص إلا بوجوده "فالتكرار من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تؤدي دوراً تعبيرياً واضحاً، فتكرر لفظة ما أو عبارة ما بشكل أولى بسيطرة هذا العنصر المكرر، وإلحاحه على فكر الشاعر أو شعوره أو لا شعوره"[1] والأمر بالطبع كذلك في النثر .

ويجمع دارسو العربية – قديماً وحديثاً – على أن التوكيد أهم أغراض ظاهرة التكرار، وذلك لأن المادة إذا كررت رسخت صورها البصرية إن كانت مكتوبة، والسمعية إن كانت مسموعة، والتكرار ليس ترفاً أسلوبياً يمكن الاستغناء عنه، بل هو ظاهرة تعبيرية لا غنى عنها بعض المواضع ؛ حيث إن أغلب التكرارات تحمل دلالة، وحضورها ليس عابراً بل مقصوداً، يراد من ورائه تحقيق أهداف نصية لغوية بالأساس .

[1]-علي عشري زايد : عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، مكتبة دار العلوم – القاهرة ، ط،1، 1978، ص60

ومن التكرار في الخطبتين:

تكرار الجمل الفعلية: ويتضح ذلك في قوله: إذا وفى أجلي فولّ غسلي رجلا لبيبا ... فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير .... فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني ...،وربما يرجع ذلك إلى أن الجملة الفعلية تعبر عن الحدث غالباً، والحدث قد يتكرر.

التكرار الإيقاعي في الخطبتين

حيث جاء السجع في نهايات الجمل مؤاكلة حسنة ومشاربة جميلة ... فالرَتق خير من الفتق... فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني. ليلبي حاجة فطرة في الإنسان؛ فتكرار حرف من الحروف في مواضع متجاورة يحدث لوناً من الموسيقى المحببة إلى النفس، يقول الدكتور إبراهيم أنيس « إن تردد بعض الحروف أو الكلمات قد يكسب الشطر لوناً من الموسيقى تستريح إليه الآذان وتقبل عليه، والملاحظ أن المعنى دائماً يعظم شأنه ويرقى إذا ما صحبته المؤثرات الصوتية التوقيعية الخالصة».[1]

ظاهرة الزمن في الخطبتين

ويتضح في قوله:" أما بعد فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، ولقد رضت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نفارا شديدا، وأردتها على سَنيات عثمان، فأبت علي، فسلكت بها طريقًا لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنة ومشاربة جميلة، فإن لم تجدوني خيركم، فإني خير لكم ولاية، والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه، فقد جعلت ذلك له دْبَر أذني، وتحت قدمي، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله، فاقبلوا مني بعضه، فإن أتاكم مني خير فاقبلوه، فإن السيل إذا جاد يثرى؛ وإذا قل أغنى، واياكم والفتنة، فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة ثم نزل "[2]

التنغيم في خطبة معاوية

[1]-إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، المرجع السابق ،ص126

[2]-ابن عبد ربه الأندلسي أبو عمرو أحمد بن محمد الأندلسي :العقد الفريد ،تحق :أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم البجاري ، ج4،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط2،1404هـ،ص171.

قام معاوية بنطق الجمل بدلالات تقريرية إخبارية مثل قوله: "أما بعد فإني ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي ولكن جالدتكم بسيفي هذا مجالدة "فالنمط التنغيمي يتجه من أعلى نحو الهبوط ليعطي معنى إخبارياً، ولكنه يتجه نحو العلو في قوله مجالدة، فالنمط التنغيمي يعلو ويهبط على حسب حاجة المتكلم، وقد استخدم المتكلم التقطيع الداخلي للجمل ؛ ليحدث نوعاً من التنغيم، مثل قوله: "مؤاكلة حسنة" ومشاربة جميلة "، ومثل : "فإن لم تجدوني خيركم"، "فإني خير لكم ولاية "،ويلاحظ أن النمط التنغيمي يميل نحو الهبوط عند الوقفة النهائية في الجملة الإخبارية، والعكس في الإنشائية، ليساهم بذلك في دلالة الجملة إخبارية أو إنشائية ويقوم التنغيم بوظيفة الوحدات الكبرى في الكلام، وقد قام بربط مقاطع الجملة المتوالية فيما بينها دلالياً.

❖ ثانيا: المستوى التركيبي في خطب معاوية

البنية التركيبية تعد من أهم الظواهر التي تسهم في الكشف عن خصوصية النسيج اللغوي وعن كيفية تحركه داخل المناطق النحوية والدلالية، ومدى مساهمته في إبداع الدلالة على اعتبار أن البناء الأسلوبي لأدب معاوية بن أبي سفيان كل متكامل غير قابل للتجزئة ؛ إذ نراه يتشكل من وحدات مختلفة، تقوم بينها مجموعة من العلاقات والروابط التي تؤدي إلى وحدة هذا البناء لذلك، فإن من التعسف أن ندرس أي وحدة من وحدات البناء على أنها شكل مستقل بذاته بل لابد من دراستها على أنها وحدة منصهرة داخل البنية الكلية . والحقيقة أن تحديد القيمة الأدبية للبناء الفني لدى معاوية تكمن هنا في عملية تأليف وتداخل وتوزيع التراكيب داخل النسيج اللغوي للنص[1].

وعلى الرغم من أن تراكيب اللغة تحكمها قوانين وقواعد مثالية في ترتيب عناصرها فإن هذه القوانين على المستوى التطبيقي قد تتعرض لنوع من التغيرات ؛ لأن لكل مبدع أسلوبه الخاص الذي يتجاوز قواعد اللغة، ولكن لا يشذ عنها.

[1]-ينظر: صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد الأدبي ، الأنجلو المصرية ، 1980م ،. ص 249

ومعنى هذا أن اختيار تركيب نحوي وتفضيله على تركيب آخر، يعد خاصية جوهرية من خصائص التراكيب الفنية ؛ لأن النظم – كما يرى الجرجاني- ليس جمعاً عشوائياً للكلمات، بل هو " توخي معاني النحو بين مفردات التراكيب.

تنوعت التراكيب والظواهر النحوية في خطبتي معاوية بن أبي سفيان سواءً كان في الجمل الطويلة أو غيرها من التراكيب فمثلا في الجمل الطويلة في قوله "فإن لم تجدوني خيراً لكم .."في خطبة أهل المدينة يقابلها في خطبة وفاته غياب للجمل الطويلة حالة من الضعف الجسدي

أما ظاهرة الحذف فحذف المسند في قوله "إياكم والفتنة "فأصلها احذروا الفتنة بالمقابل في خطبة وفاته حذف الروابط ،أما عن الأدوات والضمائر فالتوكيد كان حاضراً يزيد من توازن المبنى في حرف "إن "وغيرها من الأدوات ،أما الضمائر فانحصر في ضمير الجمع للتأليب "لي ولكم فيه منفعة "

وجاء في الخطبة الثانية الضمير المتكلم المفرد بارزاً في قوله " إذا دنا أجلي فول وجهي " ضمير من شأنه يبرز ضعفه بقرب موته .

ظاهرة التقديم والتأخير خطب معاوية

معلوم أن الجملة الاسمية تتكون من : المبتدأ زائد الخبر زائد الفضلة، والجملة الفعلية تتكون من: الفعل زائد الفاعل متعلقات الفعل . وهذا الشكل التجريدي للقاعدة أشبه ما يكون بلعبة الشطرنج ؛ لأن هذه العناصر في مواضعها ويمكن تحريكها إلى الإمام أو الخلف، بمعنى «أن التقديم والتأخير يرجع إلى فنية الأديب، وهذه الفنية المتشابكة مع حسه الشعوري واللاشعوري هي التي تدخل في التركيب اللغوي للعبارة[1]. »

تقديم الخبر على المبتدأ: في سياق المدح في قول معاوية –في عام الجماعة – عندما تلقاه رجال قريش : "فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة يقصد بذلك الخلافة .فسلكت: فعل وفاعل بها: جار ومجرور طريقاً: مفعول به، فنجد الكلمة بها قد توسطت بين الفعل والفاعل والمفعول به ليعدل بها عن الصياغة المعتادة لغرض بلاغي في نفسه، ولتحقيق المزية وتوفر للمتلقي إمكانية التفاعل مع الصياغة. ونجد في بقية المثال السابق عدولاً عن الصياغة التقليدية حيث : لي جار ومجرور خبر مقدم ولكم: جار ومجرور معطوف منفعة: مبتدأ مؤخر، وهذه الجملة كلها جملة حال .

[1]-رجاء عيد :فلسفة البلاغة بين النظرية والتطوير ،منشأة المعارف ،الإسكندرية ،2000م،ص79.

وفي هذا المثال أيضاً يريد الخطيب العدول، ولكنه أتى بالصياغة التقليدية المجازية، فقال «فإن السبيل إذا جاد يثري»[1]. فإن : حرف توكيد ونصب، السبيل : اسم إن منصوب، إذا : أداة شرط غير جازمة، جاد : خبر إن جملة فعلية، يثري: فعل وفاعل جواب الشرط. فقد أتى معاوية بالجملة الاسمية ذاكراً المسند إليه في البداية، ثم فصل بينهما بإذًا الشرطية، ثم أتى بالمسند، والهدف من التقديم والتأخير في كل جملة من الجمل السابقة هو الاختصاص، ولا شك أن هذا الهدف البلاغي يؤدي دوراً مهماً في التأثير على المتلقي (رجال قريش).

أيضاً من تنوع التراكيب من الخبر" إني قد وليتكم" الى الانشاء: يا يزيد... فاجعل ... أحمد الله متمثلة في النداء والامر والدعاء.

قوله: " جادلتكم" ، وقوله: " روضت نفسي"، " أبت عليّ"، جمل فعلية تدل على الفعل والإرادة.

وجمل إسمية استخدمها الخطيب لإبراز الثبات والحكم المؤبد في قوله: "فإني خير لكم ولاية".

توظيف أساليب شرطية: "فإن لم تجدوني خيركم، فإني خير لكم ولاية"، فإن هذا الأسلوب يضفي معنى التعليق المنطقي الذي يخلق توازنا تركيبيا.

كما نلاحظ أن الفعل الماضي هيمن على الجزء الأول من الخطبة الأولى لأن الخطيب بصدد نقل الأحداث، بينما استخدم المضارع في الجزء الأخير منها لإعطاء الخطبة طابع استثمار الحالية.

❖ ثالثا: المستوى البلاغي في خطبتي معاوية بن أبي سفيان

" ليست البلاغة ان تُفهم المعنى فحسب، وإلا لتساوت الركاكة والتعبير والإشارة، والجيد والرديء، والعامي والفصيح، وإنما البلاغة رتبة فوق افهام المعنى، رتبة سمكها الامتياز في التعبير، ومطابقته للحال، وان يضفي الخطيب من اسلوبه على معانيه حلة من نور؛ ليتسنى للسامعين أن يتأملوا معه جمال رؤاه، وبراعة خياله"[2]

جاء أسلوب التأثير في خطبة معاوية بشكل دقيق ينم على قدرة معاوية وفصاحته فمن المحسنات اللفظية نجد السجع فلقد توسع المتكلم فيه، والسجع نوع من الجرس الصوتي والسجع نوع من الجرس الصوتي،

[1]-أحمد زكي صفوت :جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ،مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده ، القاهرة ،ج2،ص244.

[2]-الحوفي، احمد محمد، فن الخطابة، ط 4،القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر،ص148

يظهر في تماثل الحرف الأخير من الفواصل في الجمل والتراكيب المتوالية، وهو بذلك من أهم عناصر الإيقاع ،وسر الجمال في السجع الفني ما له من جرس موسيقى مؤثر، وقوة في الدلالة على المعنى.

ومعلوم أن التشبيه هو بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها فيصفه أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة

وأركان التشبيه أربعة: هي المشبه والمشبه به ويسميان طرفي التشبيه، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبه به منه في المشبه[1] ، والذي نود أن نشير إليه أن التشبيه عند معظم البلاغيين ينتمي للحقائق، عكس الاستعارة والكناية واللتين تنتميان للمجاز، ومن ثم نلاحظ أن التعامل مع هذه البنى كان محكوماً بمستهدفات الخطيب، فإذا كان مستهدفاً للإقناع فإن التشبيه يساعد مساعدة فعالة في تحقيق هذه الوظيفة، ومنه قوله: "لست أحب أن تكونوا خلقا كخلق العراق يعيبون الشيء وهم فيه"[2]

ومن التشبيهات أيضا قوله:" روضت نفسي"، " أوردتها"، سلكت بها" حيث شبه النفس بالدابة تقاد وتوجه.

ونجد إلى جانب التشبيه الاستعارة والكناية في خطب معاوية فالاستعارة تمثلت في قوله " فَإِنَّ السَّيْلَ إِذَا جَاء ينزى وَإِنَّ قُلّ أَغِنَى "يقصد بها أن الفتنة كسيل مدمر ،والكناية في قوله "لا أحمل السيف "كناية عن عدم القسوة المفرطة .

اتجه معاوية في خطبته إلى استعمال أكبر قدر من المحسنات اللفظية فمنها السجع والاستعارة فالاستعارة إذن في من فنون المجاز الذي يمتع النفس ويؤثر في الوجدان بخصائصها الأسلوبية الدقيقة، وبدقائقها الفنية البليغة، وبعروقها الضاربة في معارض التخييل والادعاء، وقد أبان عبد القاهر عن قيمتها الجمالية العامة من حيث المبالغة والإيجاز والجدة والتكثيف والإيضاح في حديث شيق طوي.

إن التعامل مع بنية الاستعارة يكون محكوماً بمستهدفات الخطب، حيث يستخدمها عندما يهدف إلى الإمتاع والتأثير؛ لأنها تعتمد على المجاز لا الحقائق، ومن ثم فإنها أقرب للخيال وأوقع في العاطفة. ومن أمثلة الاستعارة قوله: "من زرع استحصد" وهي استعارة في صورة الوعظ لراحة الحياة والموت والحساب. وقوله: " فإن السيل إذا جاء ينزي..." استعارة مكنية حيث شبه السيل بالإنسان الذي يجيء وحذف

[1]- علي الجارم ومصطفى أمين :البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ،دار المعارف ،ط1،2014،ص20.

[2]-محمد شريف سليم :خطبة معاوية بن أبي سفيان في أهل المدينة ،شبكة الألوكة ،ت/إ،2015 ،ت/ز11ماي 2025.

المشبه به وهو الإنسان على سبيل الاستعارة المكنية، لغرض التجسيد المعنوي لتقريب الصورة الحسية في ذهن المتلقي.

المحسنات اللفظية

السجع: فهو أهم المظاهر الأسلوبية التي تميزت بها خطبتي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ومن أمثلته قوله: " فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذنيّ وعينيّ"[1] وقوله: "شعره وأظفاره"، " مؤاكلة حسنة ومشاربة جميلة".

الجناس: في قوله: "وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه"، "ولو قد أتى فالرَتق خير من الفتق". "فإذا أدرجتموني في جريدتي، ووضعتموني في حفرتي....."

الطباق: في قوله: "من هو شرّ مني، كما أنّ من كان قبلي كان خيرا منّي" فهو طباق إيجاب يتجلى في كلمتي شرّ-خير جاء به الخطيب لتعزيز المعنى وتقويته.

وطباق السلب في قوله: "إن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه..." بين كلمتي كله-بعضه.

والطباق في قوله: "محبة/ مسرة مقابل نفرت/ أبت" وهو من الطباق المعنوي الذي غرضه تقوية المعنى وتوضيحه كما قيل بضدّها تتضّح الأشياء.

إذا أردنا أن نقف على وجه المقارنة بين الخطبتين فالخطبة الأولى حملت في طياتها سياق القوة والبطش من خلال محاولة معاوية تثبيت السلطة عبر لغة ملتوية وعبر إيقاع صوتي عسكري ،كما حملت التهديد

[1]-محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية ،دار الأفاق العربية ،الطبعة الأولى ،2003م،ص112

المبطن بجمل شرطية كما رأينا سابقا في الأمثلة ،أما عن الجانب البلاغي فقد برزت استعارة السلطة في كلمة "كَسيل " لا يقاوم دلالة على قوته العسكرية فاللفظ يحمل معه معنى سيل الدماء .

وحملت الخطبة الأولى في أجندتها رسائل خفية استطاع معاوية إظهار قوته بكل سهولة دون أيّ عارض أو ناكرٍ واتضح ذلك جالياً فيلا كونه أن طاعتهم لهُ تجنبهم الفوضى والدمار .

وفي السياق نفسه جاءت خطبته عند وفاته بسياق الضعف ،فكان الاعتراف بالزوال غبر صدق وجودي ،وخلص هذا الضعف من السمات الصوتية التنغيمية بمقاطع متقطعة في قوله " فَخَلُّوا مُعَاوِيَةَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ"

الخلاصة الفنية لخطبتي معاوية أن اللغة تحولت من لغة السلطة الى لغة الموت أو لغة الضعف، فالمعيار الذي جاء به معاوية في خطبته الأولى غرضه ترويض الخصوم فيه نوع من الصنعة الخطابية ،بحيث انه اعتمد على استراتيجية الصوت من خلال تمويه الحقائق بالإيقاع ،بينما على العكس من ذلك في خطبة وفاته فحملت في طياتها تصفية للذات البشرية وفيها نوع من الانكسار الطبيعي الذي يلزم كل إنسان وهو الزوال أو الموت .

نلاحظ من خلال مما سبق أن الخطبتين تجلت فيهما ظاهرة السجع تجليا ملحوظا الى جانب قِصر الجمل وهذه سمة أسلوبية يتميز بها الخطيب عن غيره.

مما سبق يتضح جاليا أن خطبتي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه استخدم الأسلوب الإقناعي حيث تميزت خطبه بجزالة اللفظ ووضوح العبارة وتجلى أيضا قدرته على التحكم بمشاعر السامعين وإقناعهم بأفكاره، فقد استخدم ألفاظا قوية معبرة مع الحفاظ على الفصاحة والاتزان.

❖ تأثير خطبه في تعزيز شرعية الحكم الأموي

وخير مثال على ذلك ما ورد في خطبة "معاوية بن أبي سفيان" بالمدينة عام الجماعة (سنة 41 هـ)، فبعد أن صعد المنبر وحمد الله، وأثنى عليه، قال: (أما بعد فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة ...)، عمد "معاوية بن أبي سفيان" باعتباره واليا على أهل

المدينة حديثا، عمد إلى تذكيرهم وتذكير معارضيه بأن مبايعته لم تصدر عن طواعية منهم ومحبة فيه ونصرة وطاعة له وإنما استجابوا لها بعد مقاتلته لهم[1].

لقد أدخل "معاوية بن أبي سفيان" مخاطبيه في جو من الترقب، ثم نبههم إلى السلطة التي أسندت إليه وهي الولاية، ليوقع الرهبة في قلوبهم، ثم جاء إلى الحجة الأساس في استدلاله، وهي القوة التي بين يديه، والتي أقسم لهم أنه بدونها لما ولي عليهم، وهي فعل الجلد (جالدتكم بسيفي هذا مجالدة)، فلم يتحدث عن السوط بل عن موضعه (إنجازه الفعلي).

يختلط القول بالفعل في هذه الخطبة، وتتحدد ملامح العلاقة بين الأطراف وتبرز طبيعة السياسة الأموية التي تقوم على إعطاء المقارب ومداراة الأباعد وضرب رؤوس المخالفين، لقد استند الخطيب إلى القول المضمر "ضرب الرقاب" المنطوي تحت الإشارة المادية "المجالدة بالسيف" حتى يبث الرعب في نفوس المخاطبين ومن ثم يحملهم على الخضوع وقبول ولايته.

وينبغي ألا تغيب عن أذهاننا تهديدات "معاوية" وخطبه الموضوعة بدقة والتي أراد من ورائها تخويف الأمة بأجمعها وإرهابها وحملها على السكوت اتجاه كل تصرفاته، إذ كان يعلم أن تهديداته ستنتشر في أرجاء مملكته بالسرعة التي يتاح فيها الراكب المطي أن يبلغ غايته.

وقد نجد الخطيب ينحو منحى التهديد المبطن كما جاء في خطبة أخرى له، يقول فيها "يا أهل المدينة: إني لست أحب أن تكونوا خلقا كخلق العراق يعيبون الشي، وهم فيه، وكل أمري ، منهم شيعة نفسه، فاقبلونا بما فينا، فإن ما وراءنا شر لكم، وإن معروف زماننا هذا منكر زمان قد مضى، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت، ولو قد أتي فالرَتق خير من الفتق، وفي كل بلاغ، ولا مقام على الرزية".

يحمل هذا الملفوظ في طياته تهديدا مبطنا صدر من "معاوية بن أبي سفيان" بهدف زرع الخوف والرعب في نفوس المتلقين (أهل المدينة) وقد ضمنه إشارة إلى أهل العراق الذين تسببوا في عدائه فكانت قوته عليهم هائلة بسبب معارضتهم له ومواقفهم من حكمه، وهذه الإشارة هي تهديد خفي يقصد به أنه

[1]- وفاء اليملاحي: المغالطة الحجاجية في الخطابة السياسية (منتخبات من خطب معاوية بن أبي سفيان)، مجلة دليل الآداب واللغات، المجلد 1، العدد2، 2022م، ص 79.

سيلجأ مع كل خارج عليه من أهل المدينة إلى ما لجأ إليه مع أهل العراق كما أنه لم يخف خوفه من النقد أثناء دعوته الناس لقبوله على علاته كما هو[1].

زخرت ميادين الحكم والسياسة بأنماط متعددة من وسائل الاحتيال وفرض القرارات بالقوة، وهي ميزة توارثتها عبر العصور حتى أصبحت الجوهر الذي لا يمكن الاستغناء عنه ولا يختلف الحكام في القديم عما هم عليه الآن، إذ تمحورت أولى اهتماماتهم بجعل الرعية تستسلم وتنصاع لأوامرهم وقراراتهم دون أن تتيح لهم فرصة المشاركة و إبداء الرأي، فقناعة الآخر كانت آخر همٍ يفكر فيه السياسي بما أن مكانته تتيح له أساليب سهلة وتعود عليه بنتائج جيدة، فكانت المحاججة تضييعا للوقت وإهدارا للجهد، فاحتلتها القوة والعنف والإكراه.

وما "معاوية بن أبي سفيان" إلا واحدا من بين الكثير من السياسيين الذي انتهجوا هذا الأسلوب في التعامل مع رعاياهم؛ فعندما تولى "مروان بن الحكم" الحكم في المدينة، أرسل له "معاوية" رسالة ضمنها دعوة القوم المبايعة "يزيد" بحكم تحقق البيعة في الشام والعراق، ولكن الناس قد أنكروا بيعة "يزيد" وعلى رأسهم "عبد الرحمن بن أبي بكر" و "الحسين بن علي" و "عبد الرحمن بن الزبير" و "عبد الله بن عمر"، فقرر "معاوية" القدوم إلى المدينة والالتقاء بهم.

فوكلت الجماعة "ابن الزبير" متحدثا عنهم، ثم أتوا "معاوية"، فرحب بهم وقال: "قد علمتم نظري لكم، وتعطفي عليكم، وصلتي أرحامكم. ويزيد أخوكم وابن عمكم، وإنما أردت أن أقدمه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تأمرون وتنهون، فسكتوا".

لم يلجأ معاوية إلى تطبيق أسلوب العنف مباشرة، بل اتجه إلى تبرير الأسباب التي تقيع وراء موقفه وتصرفه، ففي الوقت نفسه هو تبرير محمل بمجموعة من العروض التي سوف يستفيد منها الأطراف إذا ما قبلوا البيعة[2].

والسبب الذي دفعه إلى تبني الحجة في المقام الأول بدل أسلوب القمع والإكراه المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها هؤلاء، فإلى جانب قدرتهم على التأثير في القوم، هم أبناء كبار الصحابة، فرضاهم من رضا

[1]- وفاء اليملاحي: المرجع السابق، ص 80.

[2]- وفاء اليملاحي: المغالطة الحجاجية في الخطابة السياسية ،المرجع السابق ، ص 81.

القوم لهذا السبب قام "معاوية" بتقديم مجموعة من الحجج التي من شأنها أن تبرر تقديم ابنه "يزيد" للحكم بدلا من أحد المعارضين، وكل تلك الحجج كانت تدور حول العلاقة التي تربط "يزيد" بهؤلاء الشباب.

يظهر وجه التضليل والحيلة في الدعائم التي قدمها "معاوية"، إذ احتج بالقرابة التي تجمع بين "يزيد" و"عبد الرحمن" و"الحسن" و"ابن الزبير" و"ابن عمر"، حتى يؤثر فيهم، فلا فرق بين الإخوة.

إن تسلم "يزيد" الحكم أو تسلم عبد الله أو غيره من الشباب، سيفضي إلى أمر واحد، هو أن الكل سيكون طرفا في الحكم، وقد دعم هذه الحجة بحجة تمويهية تضليلية أخيرة يصرح فيها عن النتيجة المضمرة التي تم التوصل إليها وهي أن يزيدا ما هو إلا وجهة لعملة واحدة وما هو إلا شكل خارجي للحكم، أما الحكام الحقيقيون هم أبناء الصحابة المذكورين.

والملاحظ أن كل الأطراف وحدتهم ردة فعل واحدة وهي السكوت، فإذا ما حاولنا تبرير هذا الفعل (السكوت) لتوصلنا إلى احتمالين:

الأول: يمكن أن يكون "معاوية" بفضل هذه الخدعة المغالطة قد نجح في التأثير على الأطراف، وتمكن الطمع من التسلل إلى نفوس هؤلاء الشباب، ذلك أن العرض المقترح جد مغر ويستحق التفكير، بما أنهم سوف يمثلون الصورة الحقيقية للحكم فيأمرون وينهون، وما "يزيد" إلا صورة تظهر على الناس محملة باسم الحاكم ولكن لو فعلا تمكنت منهم تلك الأفكار لطلبوا منه فترة أطول للتفكير وللتشاور، فالسكوت عبر عن رضوخهم وتسليمهم لدعواه[1].

الثاني: يمكن أن يعبر السكوت عن الاستغراب، وهي ردة فعل سلبية على عرض "معاوية" لأن الدهشة التي أصابت الأطراف راجعة إلى معرفتهم بنوايا "معاوية" الحقيقية فإذا ما قابلنا بين طبيعة الاقتراح الذي عرضه على الأطراف وحقيقة الأحداث الملمة بالواقعة، لوجدنا أن العلاقة غير منطقية، فمعروف عن الرجل أنه كان يروض الناس لهذه البيعة سبع سنين، ويشاور ويعطي الأقارب ويداني الأباعد، فالواقع يشير على غير ما صرح به "معاوية"، وهذا ما جعل الأطراف الأخرى تعترض على ما تم طرحه من قبل "معاوية"، واقتراح حل بديل والسير على خطى الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الأولين[2].

[1]- وفاء اليملاحي: المغالطة الحجاجية في الخطابة السياسية ،المرجع السابق ، ص 82.

[2]- المرجع نفسه، ص 82.

خاتمــة

الخاتمة

فن الخطابة يُعد أحد أشكال النثر الفني الذي يعتمد بشكل رئيسي على مواجهة الجمهور بالكلام المباشر، ويُوظَّف لإقناعهم، التأثير في مشاعرهم، واستمالة قلوبهم نحو فكرة أو قضية معينة.

منذ القدم، استخدم الأنبياء والمصلحون هذا الفن كأداة ضرورية لنشر رسالتهم وتعاليمهم، حيث استطاعوا جذب انتباه الناس وشد أسماعهم إلى ما لديهم من حق وحكمة.

وبالنسبة للعرب، اعتبروا الخطابة وسيلة فعّالة لتحقيق العديد من الأهداف، مثل الحث على القتال، إثارة الحماس في النفوس، وتحقيق المنافع العامة، ودرء المفاسد والأخطار، ومواجهة الظلم، والدعوة إلى السلم وحقن الدماء.

ولهذا السبب تحديدًا، نالت الخطابة عند العرب اهتمامًا استثنائيًا، حيث رأوا فيها مخزونًا من البلاغة، ومصدراً للحكمة البليغة التي تشكل جزءاً من هويتهم الثقافية.

كذلك كانت الخطابة مضماراً يتفاخر فيه العرب قديمًا وحديثًا، يتنافسون فيه عبر المنابر التي شهدت كلمات الخلفاء والأمراء والأئمة المنمقة بحسن البيان وفصاحة الكلام.

فقد شهد العصر الجاهلي نشاطًا كبيرًا للخطابة بفضل ارتباطها الوثيق بالواقع الحياتي للصحراء العربية ومتطلبات ذلك الزمن.

فقد ساهمت الحياة القاسية التي عاشها العرب وما صاحبها من حروب ونزاعات على المياه والكلأ في تطوير مهارات الخطابة لديهم.

حينما انطلقت أصوات الخطباء قبل المعارك لحشد الهمم أو بعد النزاعات لتهدئة النفوس والدعوة إلى التسويات السلمية، أصبحت الخطابة أداة فعّالة تخدم العرب في كل الظروف، سواء في أوقات الحرب أو السلم.

جاء الإسلام نوراً يهدي البشرية، وترك بصمته العميقة على فن الخطابة، لم تقتصر الإضافة على تطوير المضمون فحسب، بل أصبحت الخطابة نفسها أداة رئيسية لنشر دين الله وتعاليمه السامية.

تأثر الخطباء بالبلاغة القرآنية التي أبهرت النفوس والمشاعر، فظهر تأثير القرآن الكريم جليًا على أساليبهم الخطابية.

بدأ الخطباء باستخدام آياته كزينة لأحاديثهم؛ حيث كانوا يضمنون خطبهم آيات قرآنية تتناسب مع موضوع ومقام الخطبة، مما أضفى عليها قوة روحانية وجمالية مميزة.

في العصر الأموي ازدهرت الخطابة بشكل ملحوظ وأصبحت لسان حال الدولة الأموية وخصومها على حد سواء.

يُعتبر العصر الأموي مرحلة استثنائية في التاريخ الإسلامي؛ فرغم قصر مدة حكم الدولة الأموية التي لم تتجاوز القرن الواحد، إلا أنها شهدت توسعًا مذهلاً امتد من حدود الهند والصين شرقًا إلى جبال البرانس جنوب فرنسا غربًا.

وخلال هذه الفترة التاريخية المليئة بالإنجازات العسكرية مثل تدمير الأسطول البيزنطي وفتح بعض جزر البحر المتوسط، واجهت الدولة تحديات داخلية هائلة، وحروب داخلية مع الخوارج والشيعة والأقباط والبربر وحتى صراعات داخل البيت الأموي نفسه من جهة، والدعوة العباسية الصاعدة التي أنهت حكم الدولة الأموية من جهة أخرى.

وفي ظل عدم الاهتمام الكبير بالتدوين وندرة المراسلات المكتوبة في تلك الحقبة المبكرة، احتلت الخطابة الشفهية مكانة محورية للتعبير عن أفكار وقيم العرب.

فقد كانت بمثابة الوسيلة الأكثر تعبيرًا عن فصاحة العربي وروحه الأصيلة التي تفاخر بها سواء بشجاعة السيف أو قوة الكلمة.

بناءً على ذلك، يمكن القول إن الخطبة شكلت الوسيلة الدعائية الأبرز في العصر الأموي، سواء تعلق الأمر بالخليفة نفسه أو الوالي أو الثوار.

في هذا السياق المميز، برزت المناظرات الخطابية كظاهرة ملحوظة تُميز هذا العصر؛ ففي مواقف لم يكن للسلاح مجال للتدخل فيها، يمكن اعتبار المعارك الكلامية عبر الخطب وسيلة بديلة للحرب.

كانت الكلمة بدل السيف هي السلاح الذي استخدمه الجميع لإثبات وجهات نظرهم والتأثير على الجمهور؛ مما جعل الخطابة أداة سياسية وحربية في آنٍ واحد خلال هذا العصر الزاخر بالأحداث والتحولات الكبرى.

وقد تم استخلاص من السمات الأسلوبية للغة الخطاب في العصر الأموي كما رأينا سابقا عند تحليل خطبتي معاوية "في أهل المدينة " وخطبة "وفاته " فقد استخدم في خطابه أساليب كثيرة منها الجمل النحوية القريبة من الخطاب اليومي ،لأنها مباشرة وتلقائية وسريعة الفهم والتأثير ،وأقرب الى المتلقي ،واعتمد على عناصر صوتية تحدد المراد من المعنى مثل التنغيم في الجمل ،والتكرار الإيقاعي الذي يراد به التأكيد على فعل الأمر ، كما كان لتنوع التراكيب جانب مهم من حيث استخدام الأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية أو أدوات النداء ، واتضحت هذه الأساليب أكثر في استخدام معاوية الأساليب البلاغية خاصة السجع المتوازن وغير من المحسنات البديعية أو الفظيه التي كان لها وقع في أذن السامع أو المتلقي يزيد هذا من قوة الجرس الموسيقي ويعطي قوة للفظ .

استخدم معاوية بن أبي سفيان الجمل النحوية البسيطة التي تقترب من الخطاب اليومي، لأنها مباشره تلقائية ،وسريعة الفهم ،ويعتمد الخطاب على عناصر صوتية تحدد المراد من المعنى مثل :التنغيم في الكلمة والتنغيم في الجملة .

ويستعين أيضاً، بالوقفات لتبين الحدود الفاصلة بين الجمل ونهايته ويفهم ذلك من خلال الأداء الصوتي وقد تأتي الجمل متتابعة دون ربط، فيعتمد المتكلم على الوقف والتنغيم للفصل بينهما وتشارك العناصر الصوتية في دلالة المعنى مثل النبر ،والايقاع ،والتنغيم الذي يحدد الدلالة من التراكيب.

يحتوي الخطاب المنطوق على عدد قليل من التعليقات لاعتماده على الشكل البسيط الذي يعبر عن المعنى بأقرب لفظ اليه، ويستخدم الخطاب السياسي المنطوق الجمل البسيطة غير المتداخلة، وتأتي تلك الجمل على شكلين: شكل يستخدم ادوات العطف البسيطة للربط بين تلك الجمل واكثر ادوات العاطف فيه الواو والفاء، و شكل أخر تأتي فيه الجمل دون أداة ربط ويكتب المتكلم بوقفه قصيره بين الجمل للفصل بينهما.

يعتمد الخطاب السياسي عند معاوية على صور الايقاع كالسجع والازدواج المتوازن كما رأينا سابقاً في خطبة عبد الملك بن مروان.

واستخدم معاوية سمةَ التكرار بجميع مستوياته وهي أبرز سمات الخطاب المنطوق ،ويحرر التكرار وظيفتين في الاتصال وهي خلق التأثير الانفعال من خلال تصعيد قوه الخطاب حتى يتبين مضمونه، والثاني يتعلق بعمليه الاتصال وهي تنشيط ذاكره المتلقي اثناء الاستقبال ومحاوله الوصول الى المعنى المراد ، كما أن الخطاب عند معاوية يبرز الذات ،ويعظمه يؤكد على وجوده من خلال ضمير المتكلم الذي يتكرر كثيراً.

يعتمد الخطاب عند معاوية على لغة الحوار التي تعني وجود طرفين يتحاوران فيما بينهما وجها لوجه مثل الحوار الذي جرى بين معاوية وعلي بن ابي طالب في حادثة مقتل عثمان بن عفان رضيّ الله عنه ،كما يستخدم الأساليب الإنشائية مثل النداء والأمر والاستفهام وهذه الأساليب تتطلب استجابة مباشرة من طرف الموجهة إليه.

النتائج والتوصيات

❖ أهم النتائج

يكاد يجمع المؤرخون للأدب العربي على أن الخَطابة شهدت في العصر الأموي أزهى عصورها، وأنها راجت رواجًا كبيرًا، لاسيما في أول قيام الدولة، ثم في مراحلها المختلفة، ومن الأساليب البلاغية والفنية في الخطابة الأموية ما يلي:

1) الإعداد، حيث تنم خطب كثيرة عن العناية بإعدادها، والتأني في صوغها والتدبر في ترتيب أجزائها، وتنسيق أفكارها، والتأنق في أسلوبها.
2) افتتاح الخطب كان صورة من افتتاحها في صدر الإسلام في الأعم الأكثر، فأكثرها مبدوء بالحمد لله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسوله، وبعضها مبدوء بالتهديد والوعيد لتنبئ عن غضب الخطيب وترهيب السامعين بشديد عقابه.
3) بالنسبة لأجزاء الخطبة؛ بعض الخطب قائمة كلها على عَرْض الموضوع، وبعضها مقسمة إلى مقدمة، وعَرْض، وخاتمة.
4) وتمتاز الخَطابة في هذا العصر بمشابهتها الشعر في إبراز المعاني والأفكار، وتوضيحها وتجسيمها في قوالب من التخيل والتضاد، كالتشبيه والاستعارة، والكناية، وعرض الصور المتضادة، والطباق، ونحوها.
5) وأما التعبير الخطابي فيتسم بقوة العبارة وجزالتها، وقصر الجمل، والعناية بالموقع والرنين.
6) وكما كانت الخطب في صدر الإسلام، فإن خطب هذا العصر يغلب عليها كلِّها الإيجاز المعتدل، ويقل فيها التوسط القريب من الطول، وتندر فيها الخطب المسهبة المطولة.
7) وقد تأثر كثير من الخطباء في خطبهم بالقرآن الكريم، فكثر اقتباسُ آيات من القرآن، ووضْعُها المواضع الملائمة لها من الخطبة، كما كان بعض الخطباء يعمدون إلى استمداد بعض مضامين خطبهم من القرآن الكريم.
8) وفي كثير من الخطب كان هناك استشهاد بالشعر، أو اقتباس من عباراته ومعانيه.
9) اعتماد أسلوب الموعظة والتنبيه في الخطبة الوداعية عند وفاته.

10)توظيف البلاغة في خدمة السلطة بتوظيف المحسنات البديعية مثل الجناس والسجع لتعزيز السلطة ومكانتها.

11) كثافة التراكيب الخبرية لتوكيد الرسائل السياسية واستخدام أدوات التوكيد

12)توظيف الجانب الديني والقبلي لتأكيد السلطة وشرعتنها .

و قد أبدع خطباء العصر الأموي وتميزوا في جميع مجالات الأدب بسبب الظروف السياسية والاجتماعية والدينية التي مر بها هذا العصر، وظهر في هذا العصر الخُطباء ذوو الألسن البليغة، وتنوعت خُطبهم، كما تنوعت أهدافها، وتعددت أساليبها، وكان لكل منهم طريقته التي يتبعها في الخطابة، إضافة إلى اختلاف الخطبة باختلاف السبب الذي ألقيت من أجله، و قد كان لـ "معاوية بن أبي سفيان" دورا في تطوير الخطابة السياسية .

زخرت ميادين الحكم والسياسة بأنماط متعددة من وسائل الاحتيال وفرض القرارات بالقوة، وهي ميزة توارثتها عبر العصور حتى أصبحت الجوهر الذي لا يمكن الاستغناء عنه ولا يختلف الحكام في القديم عما هم عليه الآن، إذ تمحورت أولى اهتماماتهم بجعل الرعية تستسلم وتنصاع لأوامرهم وقراراتهم دون أن تتيح لهم فرصة المشاركة و إبداء الرأي، فقناعة الآخر كانت آخر هم يفكر فيه السياسي بما أن مكانته تتيح له أساليب سهلة وتعود عليه بنتائج جيدة، فكانت المحاججة تضييعًا للوقت وإهدارًا للجهد، فاحتلتها القوة والعنف والإكراه.

وما "معاوية بن أبي سفيان" إلا واحدا من بين الكثير من السياسيين الذي انتهجوا هذا الأسلوب في التعامل مع رعاياهم.

❖ التوصيات

1) تطوير فن الخطابة في عصرنا الحالي، الذي يشابه في كثير من جوانبه العصر الأموي، خصوصًا مع التراجع الملحوظ في مكانة الخطابة اليوم، نحن في أمسّ الحاجة إلى استلهام مهارات وإبداعات خطباء ذلك العصر.

2) العودة إلى نصوص الخطب الأمويّة والاستفادة مما تميزت به من جمال البناء ومتانة الأسلوب وعمق البلاغة والبيان.

3) ضرورة دراسة خطب بعض القادة والولاة غير المعروفين في العصر الأموي، إذ ركزت دراسات كثيرة على الخطباء البارزين وأشبعتهم بحثاً، بينما تجاهلت خطب شخصيات أخرى أقل شهرة لكنها ذات قيمة أدبية وتاريخية كبيرة.

4) أثبتت الدراسة أن خطب العصر الأموي تزخر بثروة لغوية مميزة، سواء على مستوى المفردات أو الدلالة، وهذا يفتح آفاقاً واسعة أمام الباحثين للاستفادة من هذا الإرث اللغوي الهائل.

5) توظيف المناهج النقدية الحديثة كالسميائية والتداولية في دراسة النصوص الخطابية.

6) إجراء دراسات ميدانية تعليمية من شأنها تعليم وتدريب الطلبة على كيفية تحليل الخطب والتفاعل معاها سواءً كان بلاغيا أو فكريا مما يساهم في مهارة التلقي والإلقاء .

7) الاستفادة من المقارنة بين الخطب الأموية وخطب العصور الأخرى يعطي للباحث أوالطالب كيف كان التحول في أساليب الخطابة منذ نشأتها.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1) ابن عبد ربه أبو عمرو أحمد بن محمد الأندلسي: العقد الفريد، تحق: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم البياري، ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهر، 1962م.

2) ابن كثير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج8،دار هجر للطباعة والنشر، د/ب، 747 هـ.

3) أبو جعفر بن محمد بن جرير بن غالب الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعارف ،القاهرة ،ط2،ج1967،5.

4) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام، محمد هارون، د/ط، مكتبة الجاحظ للنشر، بيروت، لبنان، د/ت.

5) محمد بن علي بن محمد بن طباطبا ،الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ،دار صادر بيروت ،د/ط،د/ت

6) أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا ،كتاب الزهد ،دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق ،ط1،1999م

7) إبراهيم محمد أبو سكين: علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات، دار الزهراء للطباعة – الزقازيق – مصر، 2004م.

8) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ،مناهج السنة النبوية ،تحق :الدكتور محمد رشاد سالم ،دار الحديث ،الطبعة الأولى، 2006

9) ارسطو طاليس : الخطابة، تحق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات ، بيروت، دار القلم، بيروت، لبنان، د/ط، 1985م.

10) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986م

11) الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفلك، بيروت، لبنان، د/ط، 2000م

ثانياً :المراجع

1)إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية ،ط 5 ، 1975م

2)أحمد الهاشمي: جواهر الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج1، ط1، د/ت.

3)الحوفي، احمد محمد، فن الخطابة، ط 4،القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر والتوزيع ،1938م

4)ابراهيم مصطفى، أحمد الزيات وآخرون: الوسيط، دار الدعوة، د/ط، د/ت.

5)إسماعيل علي محمد: فن الخطابة ومهارات الخطيب، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط5، 2016م.

6)إسماعيل علي محمد: فن الخطابة ومهارات الخطيب، مرجع سابق.

7)إميل ناصف: أروع ما قيل في الخطب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1999م.

8)إميل نصيف: أروع ما قيل في الخطب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990م.

9)إيليا حاوي: فن الخطابة وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

10)بشير الشريف البرغوثي: فن الخطابة العربية، دار النشر، عمان، الأردن، د/ط، 2007م.

11)جبران مسعود: رائد الطلاب المصور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 2008م.

12) رجاء عيد :فلسفة البلاغة بين النظرية والتطوير ،منشأة المعارف ،الإسكندرية ،2000م

13) سالم معوش: القواعد المعرفية في أدب صدر الإسلام العربية، دار النهضة، ط1، 2000م.

14) سيد البحراوي : الإيقاع في شعر السياب (دراسة أسلوبية) الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، سنة2011م.

15) شاكر علي ،الخطاب السياسي في العصر الاموي (دراسة تحليلية)،دار الرافدين ،بيروت ،لبنان ،2012م

16) صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد الأدبي ، الأنجلو المصرية ،القاهرة،ط1 ،1980م

17) عبد الجليل عبد شلبي: الخطابة واعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1986م.

18) عبد الرحمن أرشيد: الخطابة بين العلم النظري والفن التطبيقي، جامعة العلوم الاسلامية، ماليزيا، د/ط، 2006م.

19) عثمان موافي: في نظرية الأدب وقضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم،ج1، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى ، 2002م.

20) علي عشري زايد : عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، مكتبة دار العلوم – القاهرة ، ط1، 1978م.

21) علي الفتلاوي: رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرات .دار الفتح للنشر والتوزيع ،ط1،عمان ،الأردن،2006م.

22) علي الجارم ومصطفى أمين :البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ،دار المعارف ،مصر ج2،ط2014،1م

23) علي محفوظ: فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، د/ط، د/ت.

24) محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، د/ط، د/س.

25) مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ أداب العرب ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1،ج3 ،2010

26) محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، د/ب، ط1، 1934م.

27) محمد الطاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام (العصر السياسي عصر الدولة الأموية)، ج2، دار المعارف، مصر.1967م.

28) محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، دار النشر افريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002م.

29) محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في صدر الإسلام، دار الكتب، بيروت، لبنان، د/ط، 1980م.

30) محمد عبد المطلب ،البلاغة والأسلوبية ،دار الأفاق العربية ،الطبعة الأولى ،2003.

31) مصطفى البشير قط: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، د/ب، د/ط 2009م-2010م.

ثالثا: المعاجم والقواميس

1) ابراهيم فلاتي: الهدى (قاموس مدرسي)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، طبعة حديثة، 2010م.

2)ابراهيم مصطفى، أحمد الزيات وآخرون: الوسيط، دار الدعوة، د/ط، د/ت.

3) ابن منظور: لسان العرب، مادة خطب، باب الخاء، مج 3، دار الحديث، القاهرة، د/ط 2003م.

4) بسام عبد الله: قاموس نوبل، دار الكتاب الحديث، د/ط، 2011م.

5) الجرجاني: معجم التعريفات، باب الخاء، تحق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، د/ط، د/ت.

6) الفراهيدي: العين، باء، الخاء، تحق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م.

رابعاً: الرسائل والأطروحات

1) عزيزة سعيد مصطفى مصيطف: المسكوت عنه في الخطابة في العصر الاموي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2023م.

2) لعاني غانية: بلاغة النثر في العصر الأموي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران الجزائر، 2015م.

خامساً: المجلات

1) أحمد بن محمد إبراهيم اليحيى: المستويات الفنية في خطب معاوية بن ابي سفيان (دراسة أسلوبية)، مجلة كلية الآداب، جامعة بو سعيد، العدد السابع، يناير 2016.

2) وفاء اليملاحي: المغالطة الحجاجية في الخطابة السياسية (منتخبات من خطب معاوية بن أبي سفيان)، مجلة دليل الآداب واللغات، المجلد 1، العدد2، 2022م.

3) جامعة أم القرى ، مذكرة أصول الخطابة، مكة المكرمة ،عمادة شوؤن المكتبات ،2011، المقرر رقم 151.

فهرس الموضوعات

المحتويات	الصفحة
مقدمة	أ–ب
ملخص الدراسة	ج
إشكالية الدراسة	ج
أهداف الدراسة	ج
أهمية الدراسة	د
منهجية الدراسة وأدواتها	د
حدود الدراسة	هـ
صعوبات الدراسة	و
مدخل عام	
الخطابة من العصر الجاهلي الى العصر الاموي	11
أثر الإسلام في تطوير الخطابة الأموية	14
الأليات الخطابية في الخطابة الأموية	16
القيمة الأدبية في تحليل أليات بناء الخطابة الأموية	17
الفصل الأول: أليات بناء الخطابة في العصر الأموي	
تمهيد	21
المبحث الأول: مفهوم الخطابة وأهميتها وعناصرها	22
مفهوم الخطابة	22
أهمية الخطابة وعناصرها	24
تطور الخطابة مقارنة بالعصور السابقة	32
الخطابة في العصر الجاهلي	33
الخطابة في عصر صدر الإسلام	34
الخطابة في العصر الأموي	36
المبحث الثاني: دوافع ازدهار الخطابة في العصر الأموي وأنواعها	39
دوافع ازدهار الخطابة في العصر الأموي	39

أنواع الخطابة الأموية	41
الخطابة كوسيلة للتواصل السياسي والإعلامي في العصر الأموي	44
المبحث الثالث : خصائص وأسس البلاغة الأموية	46
تمهيد	47
خصائص الخطابة في العصر الأموي (اللغوية والأسلوبية)	48
الأساليب الخطابية في العصر الأموي	49
مميزات الخطابة في العصر الأموي وأثر البلاغة	52
أثر البلاغة العربية في الخطابة الأموية	53
الفصل الثاني: معاوية بن أبي سفيان كخطيب في العصر الأموي	
تمهيد	56
المبحث الأول: سيرة معاوية ودوره السياسي	57
حياته ونشأته	57
دوره كخطيب في سياق الحكم والسياسة	58
المبحث الثاني: دراسة تحليلية لخطبه	61
نماذج مختارة من خطبه	61
خطبة معاوية بن أبي سفيان في المدينة	61
خطبة الخليفة معاوية بن أبي سفيان عندما حضرته الوفاة	62
تحليل الأسلوب والمضمون لخطبة معاوية بن أبي سفيان في المدينة	63
تحليل الأسلوب والمضمون لخطبة معاوية بن أبي سفيان عندما حضرته الموت	65
المبحث الثالث : الظواهر الأسلوبية في خطبتي معاوية بن أبي سفيان	66
خطبة معاوية بن ابي سفيان في أهل المدينة	66
خطبته معاوية بن أبي سفيان عند وفاته	67
تحليل المستويات الصوتية والتركيبية والبلاغية في خطبتي معاوية بن أبي سفيان	69
الظواهر الإيقاعية والتنغيمية في خطب معاوية	69

بنية النبر في خطبتي معاوية	71
الإيقاع في خطب معاوية	72
التكرار	72
الزمن	74
التنغيم	74
المستويات التركيبية في خطب معاوية	75
البنية التركيبية	75
ظاهرة التقديم والتأخير في خطبه– تنوع التراكيب	76
المستويات البلاغية في خطبتي معاوية	77
المحسنات اللفظية	77
السجع– الجناس –الطباق –الاستعارة	79
تأثير خطبه في تعزيز أحكام شرعيته	80
خاتمة	84
النتائج	90
التوصيات	92
المصادر والمراجع	94
فهرس الموضوعات	100

الملخص والكلمات المفتاحية

بالعربية و الإنجليزية

الملخص باللغة العربية

يكاد يجمع المؤرخون للأدب العربي على أن الخَطابة شهدت في العصر الأموي أزهى عصورها، وأنها راجت رواجًا كبيرًا، لاسيما في أول قيام الدولة، ثم في مراحلها المختلفة، و قد أبدع خطباء العصر الأموي وتميزوا في جميع مجالات الأدب بسبب الظروف السياسية والاجتماعية والدينية التي مر بها هذا العصر، وظهر في هذا العصر الخُطباء ذوو الألسن البليغة، وتنوعت خُطبهم، كما تنوعت أهدافها، وتعددت أساليبها، وكان لكل منهم طريقته التي يتبعها في الخطابة، إضافة إلى اختلاف الخطبة باختلاف السبب الذي ألقيت من أجله، و قد كان لـ "معاوية بن أبي سفيان" دورا في تطوير الخطابة السياسية.

يعد "معاوية بن أبي سفيان" رمزا للدهاء والسياسة، وكانت العرب تضرب به المثل في ذلك، تميز أسلوب "معاوية بن أبي سفيان" في خطبه بالوعيد المتكرر، وضرب الأمثال للتحذير والتخويف، كان يخلط القول بالفعل خطبه، ويحدد ملامح العلاقة بين الأطراف ومن خلالها تبرز طبيعة السياسة الأموية التي تقوم على إعطاء المقارب ومداراة الأباعد وضرب رؤوس المخالفين.

وقد نجد الخطيب ينحو منحى التهديد المبطن بهدف زرع الخوف والرعب في نفوس المتلقين، وما "معاوية بن أبي سفيان" إلا واحدا من بين الكثير من السياسيين الذي انتهجوا هذا الأسلوب في التعامل مع رعاياهم.

الكلمات المفتاحية: الخطابة، العصر الأموي، الأسلوب في خطب معاوية بن أبي سفيان.

Summary of the study

Historians of Arabic literature almost unanimously agree that oratory witnessed its most prosperous era in the Umayyad era, and that it was very popular, especially at the beginning of the establishment of the state, and then in its various stages, and the orators of the Umayyad era were creative and distinguished in all fields of literature due to the political, social and religious conditions that this era went through In this era, speeches with eloquent tongues appeared, and their speeches varied, as their goals varied, and their methods varied, and each of them had his own method that he followed in the speech, in addition to the difference in the speech according to the reason for which it was delivered, and Muawiya bin AbiSufyan had a role in developing political oratory.

MuawiyaibnAbiSufyan is a symbol of cunning and politics, and the Arabs were proverbial in that, the style of MuawiyaibnAbiSufyan in his speeches was characterized by repeated threats, striking parables to warn and intimidate, mixing words with deeds, and defining the features of the relationship between the parties and through them the nature of the Umayyad policy, which is based on giving the close and managing the distant and beating the heads of the dissenters.

Muawiya bin AbiSufyan is just one of many politicians who adopted this method of dealing with their subjects.

Keywords: Rhetoric, Umayyad era, Muawiya bin AbiSufyan.